تقرر تدريس هذا الكتاب بالمدارس والمكاتب

الحصون الحميدية

﴿ للمحافظة على العقائد الإسلامية ﴾

(تأليف)

حضرة الأستاذ صاحب الفضيلة السيد الشيخ حسين أفندي الجسر

مؤلف الرسالة الحميدية غفر الله له

(تطلب من المكتبة المحمودية)

لصاحبها ومديرها « محمود علي صبيح »

الكائن مركزها العمومي بميدان الجامع الأزهر الشريف بمصر

المطبعة والمكتبة المحمودية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا (محمد) أشرف المرسلين * وعلى آله وصحبه أجمعين * (أما بعد) فيقول الفقير الحقير الراجى من الله غفران الوزر * عبده حسين بن محمد الجسر الطرابلسى عفا الله عنه * انه من المعلوم المسلم عند كل مطلع على تاريخ الامة المحمدية أن إيمان اهل الاسلام * بجميع ماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام * كان فى عصره عصر السعادة مستندا للقرآن الشريف * وحديث الرسول المنيف * مؤيدا بادلة العقل السليم * الناهج فى المنهج القويم * خالصا من شوائب الشبه والاهواء * سالما من غوائل الأغاليط واختلاف الآراء * فلذلك كانت ثمراته يانعة * وزواهره ساطعة * فكنت ترى افراد الأمة محافظين على إقامة العبادات وانتظام شأن المعاملات * ممتثلين للأوامر * منتهين عن المناكر * متحلين باخلاق الدين الحسنة * وآدابه المستحسنة * لانه متى طاب الاصل طابت الفروع * وعذوبة الماء تنشا عن عذوبة الينبوع * فقد دام ذلك فى المسلمين * وجماعة الموحدين * الى ان ام

العادية الوقوع و بين تلك الاشياء غير العادية الوقوع الا حصول العادة ى الاولى دون الثانية والا فاذا نظرنا فى الدليل العقلى وجدنا ان كلا منهما جائز الوقوع وداخل تحت تصرف قدرة موجد العالم الذي ابتدع هذه الاكوان واودعها من الاسرار ما تحتار فيه الافكار وليعلم ان تلك الجائزات غير العادية هى التى جعل الله تعالى وقوعها على ايدي الرسل عليهم الصلاة والسلام معجزة لهم شاهدة بصدقهم فيما يخبرون به عنه تعالى كما سيأتى شرح هذا فى المباحث الآتية ان شاء الله تعالى

(الباب الاول)

(فى بيان الايمان بالله تعالى و بيان اعتقاد اهل السنة)
(بالنصوص الشرعية الواردة فى صفاته سبحانه)
(وفيه ستة فصول)

(الفصل الاول)

(فى تعريف الايمان بالله تعالى)

اعلم ان معنى الايمان بالله تعالى هو ان يعلم العبد ويعتقد اعتقادا جازما ما يجب لله تعالى من الصفات وما يستحيل عليه من اضدادها وما يجوز فى حقه سبحانه فيعتقد اعتقادا جازما انه يجب لله تعالى كل صفة كمال

تليق بشان الالوهية و يستحيل عليه تعالى كل نقص ويجوز فى حقه فعل
كل ممكن او تركه ولكن يجب على العبد ان يعتقد تفصيلا بوجوب ثلاث
عشرة صفة كمالية لله تعالى عليها مدار الالوهية وعظمة شان الربوبية
وباستحالة اضدادها عليه سبحانه وتلك الصفات الثلاث عشرة هى الوجود
وضده العدم والقدم وضده الحدوث والبقاء وضده الفناء والمخالفة
للحوادث وضدها المماثلة للحوادث وقيامه تعالى بنفسه وضده قيامه تعالى
بغيره والواحدانية وضدها ان لا يكون واحدا والارادة وضدها الكراهية
والقدرة وضدها العجز والعلم وضده الجهل والسمع وضده الصمم والبصر
وضده العمى والكلام وضده البكم والحياة وضدها الموت وكمال هذا
الاعتقاد ان يكون بالبراهين المفيدة لليقين ولنشرح في الفصل الآتى بيان
وجوب كل صفة من هذه الصفات الثلاث عشرة واستحالة اضدادها مع
الدليل المفيد لليقين فى ذلك بعون الله تعالى

(الفصل الثانى)

(فى بيان الصفات الثلاث عشرة التى يجب الايمان تفصيلا)
(بوجوبها لله تعالى و باستحالة اضدادها مع الدليل المفيد)
لليقين في ذلك

﴿ الصفة الاولى الوجود ﴾

يجب لله تعالى الوجود و يستحيل عليه ضده وهو العدم والدليل على ذلك أن هذا العالم المشاهد لنا بجميع ما يحويه حادث وكل حادث لا بد له من محدث فهذا العالم لا بد له من محدث أما الدليل على أن هذا العالم حادث فهو كونه ملازما للاعراض الحادثة من الحركة والسكون والصور الحيوانية أو النباتية أو المعدنية أو غيرها من الصور التي لا تخلو مادة العالم وجوهره عن واحدة منها وكل ملازم للحادث يكون حادثا وتوضيحه ان هذه الاعراض حادثة بدليل أن كل واحد منها يزول و يخلفه غيره والقديم لا يزول لانه اما قديم لذاته واما قديم لغيره بمعنى ان شيئا آخر قديما استلزم وجوده وما دام ذات القديم قائمة أو الذي استلزمه قائما فلا يجوز عقلا زواله فاذا ثبت كون هذه الاعراض حادثة نقول أصل مادة العالم وجوهره اما انه كان موجودا قديما وخاليا عن اعراض وهذا باطل لان الاعراض ملازمة له لا يخلو عنها جميعها اذ لا يتصور خلوه عن الحركة والسكون وجميع الصور واما ان يقال حدث وحدثت تلك الاعراض معه فثبت حينئذ انه حادث والاعراض ايضا حادثة فثبت ان هذا العالم بجميع ما يحويه حادث وهو المطلوب

واما الدليل علي ان كل حادث فلا بد له من محدث فلانه لو وجد الحادث

بدون محدث يلزم الترجيح بلا مرجح وهو من المستحيلات البديهية وتوضيحه لمن قد يخفى عليه ذلك أن العقل لا يصدق بان احدي كفتي ميزان متساويتين في الثقل بينما كانتا متوازنتين أو اليسرى مثلا مائلة بائنة بميلها الى الارض بسبب من الاسباب اذ رجحت اليمنى على اليسرى وارتفعت اليسرى الى غاية ما يمكن من ارتفاعها وان ذلك حصل بدون مرجح للكفة اليمنى الراجحة لا بقوة حيوان ولا بصادمة هواء ولا جسم آخر سقط فيها ولا بشيء مما يصلح لترجيحها ومن يصدق بهذا عد من الحمقى ولا فرق بين هذا المثال وبين جميع ما يتصور من الحقائق سواء كانت حسية أو عقلية في ان الترجيح بلا مرجح فيها من المستحيل كما هو ظاهر فثبت بهذا أن وجود الحادث بلا محدث مستحيل فلا بد لكل حادث من محدث يخرجه من ظلمة العدم الى نور الوجود فتمت لنا الدعوي وهي أن هذا العالم الحادث لا بد له من محدث ثم ان هذا المحدث لا بد أن يكون موجودا لان المعدوم لا يصلح ان يكون موجدا الشيء كما هو ظاهر فثبت بجميع ما تقدم وجوب وجود محدث موجد لهذا العالم واستحالة عدمه وهو المطلوب من هذا البحث وقد سمى العقلاء هذا الموجد لاسم به العالم وورد بتسميته الشرائع باسم الجلالة وهو الله تبارك وتعالى

﴿ الصفة الثانية (القدم) ﴾

يجب لله تعالى القدم و يستحيل عليه تعالى ضده وهو الحدوث والدليل على ذلك انه سبحانه لو كان حادثا لاحتاج الى محدث يحدثه مع فرضه حادثا يحتاج الي محدث وهكذا فيلزم اما الدور واما التسلسل وكل من الدور والتسلسل محال فما ادي الى واحد منهما وهو حدوث الله تعالى يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديما وهو المطلوب

اما الدور فهو توقف وجود كل من الشيئين على وجود الآخر فيلزم ان كلا منهما وجد قبل[١] وجود سببه فيلزم ان يوجد قبل وجود ذاته وهو ظاهر البطلان فلو قلنا ان الا[٢]له الذى توقف عليه وجود العالم توقف وجوده على العالم لزم ان العالم قد وجد وجود الاله الذى كان سبب وجوده فيلزم ان يكون وجد العالم قبل وجود ذاته وهو ظاهر البطلان

واما التسلسل فهو ترتب امور وتعاقبها فى جانب الازل لا نهاية لها وانما حكم العقل باستحالته لانه يستلزم المحال وما يستلزم المحال يكون محالا وقد ذكر العلماء لبيان استحالة التسلسل عدة ادلة نذكر منها هنا ما يسهل فهمه فنقول لاشك ان العقل يحكم قطعا بان الشىء الذى يكون محصورا بين حاصرين لا بد ان يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا بين حاصرين وكونه غير متناه محال فلو كان التسلسل جائزا عقلا لساغ لنا ان نفرض خطين يخرجان من

نقطة بصورة ساقي شكل مثلث ذاهبين الى غير نهاية فاجزاؤهما بمنزلة امور مرتبة متعاقبة في جانب الازل غير متناهية ثم لنا ان نفرض المسافات التي بين هذين الخطين ونعتبرهما خطوطا تمتد وتطول كلما امتد الخطان وتباعدا هكذا فاذا قلنا بعدم تناهي الخطين لزم منه عدم

تناهي المسافات بينهما التي اعتبراها خطوطا فلا بد ان تنتهي الى خط من تلك الخطوط غير متناه والحال انه محصور بين حاصرين وهما الخطان وقد تقدم ان المقدار الذي يكون محصورا بين حاصرين لا بد ان يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا بين حاصرين وكونه غير متناه محال فما ادى اليه وهو عدم تناهي الخطين الذي فرضنا فيه التسلسل يكون محالا فبعد بيان ان كلا من الدور والتسلسل محال يثبت ان الاله الذي هو موجد العالم لا يجوز ان يكون حادثا عن شيء آخر والا يلزم الدور فيما لو قلنا ان وجود الاله متوقف على وجود العالم او التسلسل فيما لو قلنا ان وجود الاله متوقف على وجود شيء آخر والشيء الاخر متوقف على آخر وهكذا الى غير نهاية وكل من الدور والتسلسل محال كما تقدم فما يؤدي الى واحد منهما وهو كون الاله حادثا متوقفا على غيره يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب ان يكون قديما اذ لا واسطة بين الحدوث والقدم ووجوب قدمه سبحانه واستحالة حدوثه هو المطلوب

ثم بعد ثبوت قدم الله تعالى واستحالة حدوثه نقول ان قدمه سبحانه لذاته وليس قدمه لغيره بمعنى ان امرا آخر اقتضي وجوده لانه لو قيل بانه قديم لغيره لانتقل الكلام الى ذلك الغير ويقال هل هو قديم لذاته او لغيره وهكذا الى غير نهاية فيلزم التسلسل وهو محال فلم يبق الا القول بانه قديم لذاته اى انه ليس مستندا فى قدمه الى سواه

﴿ الصفة الثالثة (البقاء) ﴾

يجب لله تعالى البقاء ويستحيل عليه ضده وهو الفناء والزوال والدليل على ذلك انه قد ثبت وجوب القدم الذاتي لله تعالى واستحالة الحدوث عليه سبحانه ومادام انه تعالى قديم لذاته وذاته تعالى قائمة وقيامها يستلزم وجودها فلا يجوز ان يقبل الفناء والزوال فثبت بهذا ان الله تعالى يجب له البقاء ويستحيل عليه ضده وهو الفناء وهو المطلوب

﴿ الصفة الرابعة (المخالفة للحوادث) ﴾

يجب لله تعالى المخالفة للحوادث ويستحيل عليه ضدها وهو المماثلة للحوادث بان يكون تعالى مشابها لهذه الموجودات الحادثة فى خاصة من خواصها التى من طبيعة نفسها ان تكون لازمة لها لا تنفك عنها او من طبيعة نفسها ان تقبلها سواء كانت توجد في جميع الانواع منها او فى بعضها وذلك كالجوهرية والجسمية والعرضية والتحيز والتركب والتجزؤ

والتولد عن الغير وولادة الغير والاتصال والانفصال والحيوانية والنباتية والمعدنية والانتقال من حيز الى حيز والانفعالات النفسية كالضحك والتعجب وامثال ذلك لان الاله سبحانه لو شابه هذه الموجودات الحادثة فى شيء من تلك الخواص لكان مثلها لان الشيء الذى يشابه شيئا آخر فى خاصة من خواصه يكون مثله البتة ولو كان الاله مثلها الجاز عليه ما جاز عليها من الحدوث والفناء لانه ما جاز على احد المثلين جاز على الاخر وقد قام الدليل على وجوب قدمه تعالى وبقائه واستحالة حدوثه وفنائه فقد ثبت بهذا ان الله تعالى لا يجوز عليه ان يشابه هذه الموجودات الحادثة فوجب له مخالفتها واستحال عليه المماثلة لها وهو المطلوب

الصفة الخامسة (قيامه تعالى)

يجب لله تعالى قيامه بنفسه ويستحيل عليه تعالى ضده وهو قيامه بغيره بمعنى احتياجه الى مكان يتمكن فيه او محل يحل فيه او مخصص يخصصه او موجد يوجده والدليل على ذلك انه قد ثبت فى دليل المخالفة للحوادث انه تعالى ليس جوهرا ولا جسما فلا يحتاج الى مكان يحل فيه لان الاحتياج الى المكان من خواص الجواهر والاجسام وثبت بذلك انه تعالى ليس عرضا فلا يحتاج الى محل يحل فيه يقوم به كاحتياج الاعراض مثل الالوان والطعوم الى ذلك وثبت ايضا انه تعالى قديم فلا يحتاج الى مخصص يخصصه وموجد يوجده فثبت وجوب قيامه تعالى بنفسه واستحالة قيامه

بغيره وهو المطلوب

﴿ الصفة السادسة (الوحدانية) ﴾

يجب لله تعالى الوحدانية أي انه تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله
و يستحيل عليه ضدها وهو ان لا يكون تعالى واحدا فيما ذكر بان يكون
مركبا في ذاته او في صفاته او يكون له مماثل في ذاته او في صفاته او له مشارك
في خلق فعل من الافعال

اما الدليل على انه تعالى ليس مركبا في ذاته ولا في صفاته فهو انه تعالى لو كان
مركبا في واحد منهما لاشبه الحوادث في خاصة من خواصها ومقتضيات
ذاتها وهو التركيب كما تقدم في دليل مخالفته تعالى للحوادث فيكون حادثا
مثلها وقد قام الدليل على وجوب قدمه تعالى واستحالة حدوثه واما الدليل
على انه تعالى ليس له مماثل في ذاته ولا في صفاته فلانه لو وجد له مماثل في
ذاته يجب لذلك المماثل ما يجب له تعالى و يستحيل عليه ما يستحيل عليه
سبحانه وتعالى او وجد له مماثل في صفاته الواجبة القديمة لاسيما في تمام
القدرة على كل ممكن كما سيأتي في اثبات وجوب القدرة التامة له تعالى
لكان ذلك المماثل في الذات او في الصفات الواجبة القديمة الها ولو كان معه
سبحانه وتعالى في الوجود اله لما وجد هذا العالم كما اشير اليه بقوله تعالى
(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) اي لو كان يقوم في خلق السموات

له لا رضى به غيره تعالى اي وان كان الله تعالى معهم [illegible] وجد
وشرح هذا الدليل ان يقال لو تعدد اله العالم كان يكون هنالك الهان او
اكثر ولا فرق في هذا الاستدلال لانه لو وجد شيء من هذا العالم لكن عدم
وجود شيء من هذا العالم باطل لانه موجود وثابت بالمشاهدة فما ادي اليه
وهو تعدد الاله يكون باطلا واذا بطل التعدد ثبتت الوحدانية وهو
المطلوب وانما يلزم من وجود الهين عدم وجود شيء من العالم لانهما اما ان
يتفقا على ايجاد هذا العالم واما ان يختلفا فان اتفقا فلا جائز ان يوجداه لانه اما
ان يحصل ايجاد كل منهما لوجود العالم مستقل فيلزم ان له وجودين وهو
انه له وجود واحد فقط واما ان لا يحصل بايجادهما لا وجود واحد للعالم
فيلزم [illegible] يوجده [illegible] بمشاركة الاخر فيكون هذان
الالهان شريكا [illegible] لا ينسب اليه الايجاد ولا ينسب لواحد منهم
[illegible] الوجد لا موجد مستقل والاله انما هو موجده
[illegible] كما [illegible] قدرة وغيره المستقل يكون عاجزا محتاجا الى معين
[illegible] هو المجموع المركب من الاثنين قلنا قد ثبت
ان [illegible] الحوادث في صفاتها التي من
[illegible] وجده [illegible] وجده الاخر
[illegible] كما هو ظاهر ولا جائز ان يوجد احدهم
[illegible] من هذا العالم والاخر البعض الاخر لعجزهم حينئذ لانه

تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به وهذا
عجز ينافي تمام القدرة على كل شيء، والعجز على الإله محال كما سيأتي من
وجوب تمام قدرته تعالى على كل جائز وإن اختلفا بأن أراد أحدهما ايجاد
هذا العالم والآخر اعدامه فلا جائز أن تنفذ ارادتهما معا للاستلزام على هذا
اجتماع النقيضين وهو وجود العالم وعدمه في آن واحد وهو محال ولا جائز
أن تنفذ ارادة أحدهما دون الآخر للزوم عجز من لم تنفذ ارادته والآخر مثله
لانعقاد المماثلة بينهما وقد قال اذا نفذت ارادة أحدهما دون الآخر كان
الذي نفذت ارادته هو الاله دون الآخر لعجزه وتم دليل الوحدانية

ودليل آخر على استحالة تعدد الاله انه لما وجب وجود اله العالم بدليل
ان الحوادث لابد لها من محدث فاذا وجد اله آخر فاما أن لا يكون كل
منهما مستقلا في ايجاد العالم فلا يكون كل منهما الها لان الاله هو الكافي
المستقل وإما أن يكون واحد منهما كافيا فالثاني يكون ضائعا لا حاجة اليه
والاله لا يكون كذلك

والدليل على انه تعالى ليس له شريك في فعل من الافعال فلان الحوادث
في هذا الكون اما هي حدوث حيوان او نبات او معدن او حركات غير
الحيوان كحركات الكواكب والرياح او حركات الحيوانات غير
الاختيارية كحركة نبضه وحركة ارتعاشه الحادثة بسبب الحمى مثلا ونحوه
الاشياء في البديهي أنه ليس لسوى الله تعالى من المخلوقات دخل في

ايجادها واحداثها مما يجزم به كل عاقل انه لم يصور ه بصورته التي هو عليها ابوه اوامه او احد من الخلق فيقال بعد ذلك ان الدليل على تفرد الله تعالى بايجاد جميع ماذكر هو نظير الدليل على انه تعالى ليس له مماثل في ذاته ولا في صفاته اذ نقول في ايجاد كل منهما لو كان هناك موجدان فاما ان يتفقا في ايجاد كل شيء مما ذكروا اما ان يختلفا ويتمم الدليل الى اخره كما تقدم قريبا فيثبت انه ليس خالق لهذه الاشياء الا الله تعالى واما ان تلك الحوادث حركات العباد الاختيارية من نحو قيام زيد ومشي عمرو ونحو ذلك فهذه ايضا الا المتفرد بخلقها وايجادها هو الله تعالى والدليل على ذلك انه لو كان العبد هو الموجد والخالق لعمله الاختياري لكان عالما بتفاصيله لكن علمه بتفاصيله باطل فكونه هو الموجد له يكون باطلا فلم يبق الا أن الموجد له هو الله تعالى الذي اوجد بقية الكائنات ولم يشاركه فيها مشارك والدليل على بطلان علم العبد بتفاصيل فعله ان النائم تحصل عنه افعال اختيارية لا شعور له بتفاصيلها ولا بمقاديرها وكيفياتها وان الكاتب يصور الحروف والكلمات بتحريك انامله من غير شعور له بما للانامل من الاجزاء والاعضاء أعني العظام والغضاريف والاعصاب والعضلات والرباطات ولا بتفاصيل حركاتها وأوضاعها التي بها تتاتي تلك الصور والنقوش ثم انه قد تواترت النصوص الشرعية بان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى قال تعالى في كتابه العزيز (والله خلقكم وما تعملون) وقال تعالى (هل

من خالق غير الله) ويسوغ لأهل الايمان الاعتماد فى عقائدهم على هذه النصوص الثابتة فى الدين المحمدي المبين وأخذها دليل عقيدتهم على ان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى لكن للعبد كسبا فى أفعاله الاختيارية هو مناط الثواب والعقاب وبه صح نسبة الفعل الى العبد فى قولنا فعله قال الامام الاعظم أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه فى الفقه الاكبر ما نصه وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله خالقها انتهى . قال مفسر كلامه من الائمة الكرام يعنى إن أصل الفعل بقدرة الله تعالى والاتصاف بكونه طاعة أو معصية بقدرة العبد وبيان آخر أن العبد يوجه ارادته الى الفعل ويعلق قدرته به فيكون ذلك منه سببا لاتصافه به كبقية الاسباب فى جانب مسبباتها وهذا من العبد هو الكسب والله تعالى عند ذلك يوجده بقدرته وهذا هو الخلق وهذا هو المذهب المتوسط بين الافراط والتفريط فلا نقول بانه لادخل للعبد فى جميع افعاله ولا نقول بانه لادخل لله في افعال العباد الاختيارية بل نقول ان الله تعالى خالق فعالهم وهم يكتسبونها وعلى كسبهم يثابون او يعاقبون

﴿ الصفة السابعة (الارادة) ﴾

يجب لله تعالى الارادة وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يخصص بها كل جائز ببعض مايجوز عليه ويستحيل عليه ضدها وهو الكراهية والدليل

على ذلك فقد ثبت أن هذا العالم لم يحدث بذاته وإنما حدث عن الله
سبحانه وحينئذ نقول إن حدوث العالم عنه تعالى إما أن يكون بطريق
العلية والضرورة دون إرادة واختيار وإما أن يكون بطريق الإرادة
والاختيار أي أنه تعالى أراد وجوده واختار له الوقت الذي
وجد فيه لا جائز أن يكون حدوث العالم عنه تعالى بطريق العلية
والضرورة دون اختيار لأنه لو كان الأمر كذلك والله سبحانه قديم للزم
أن يكون العالم قديما لأنه حينئذ يكون معلولا لله تعالى والمعلول يجب أن
يتبع علته في القدم ولكن قد ثبت أن العالم حادث وإذا لم يكن قديما فلم
يكن حدوثه عن الله تعالى بطريق العلية والضرورة ولم يبق إلا أنه حدث
بإرادته تعالى واختياره في الوقت الذي وجد فيه فقد ثبت
بهذا أن الله تعالى أوجد العالم باختياره فوجبت له الإرادة واستحال عليه
ضدها وهو [illegible] وهو المطلوب

[illegible]

يجب لله تعالى القدرة [illegible] يوجد بها الحوادث
[illegible] على [illegible] إيجاده
[illegible]
[illegible] الأولى

من الاصناف التي تحتار في عظمتها وغرابتها العقول وتغرق في بحار عجائبها الفهوم ولا يصدق العقل السليم ومن اجلي المستحيلات عنده ان من اوجد هذا العالم بهذه العظمة والجلالة والغرابة يكون عاجزا مسلوب القدرة فثبت بهذا ان الله تعالى إنه هذا العالم الذي اوجده من العدم بتلك العظمة يجب له القدرة ويستحيل عليه ضدها وهو العجز وهذا هو المطلوب

﴿ الصفه التاسعة (العلم) ﴾

يجب لله تعالى صفة العلم وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تنكشف له بها جميع الاشياء من الواجبات والجائزات والمستحيلات فيعلم سبحانه كل شيء منها على ما هو عليه من الوجوب او الاستحالة او الجواز ويستحيل عليه تعالى ضده وهو الجهل والدليل على ذلك إيجاده سبحانه لهذا العالم بما احتوى عليه من العجائب والغرائب مع نهاية الاتقان وغاية الاحكام مما تحتار في دقيق صنعه العقول وفي اتقانه الفهوم ويتضح هذا من نظر الانسان في اقرب الاشياء اليه وهو ذاته المشتمله على التدبير الباهر والاتقان الذي تحتار فيه الاذهان فكيف اذا تأمل في عجائب الكواكب ونظامها وعالم الحيوان والنبات والمعدن وما حوته من الانواع والموافقات والاختلافات الى غير ذلك من العجب العجاب ومن المستحيل عند العقل السليم ان الذي يوجد هذا العالم بهذا الاتقان والاحكام ودقيق الصنعة

وعجيب الوضع يكون جاهلا غير عالم فثبت بهذا ان الله تعالى إله العالم الذى اوجده بهذا الاتقان يجب له العلم و يستحيل عليه ضده وهو الجهل وهذا هو المطلوب

وتوضيح دليل وجوب القدرة والعلم لله تعالى بنوع من البسط ان نقول ان من نظر مثلا ساعة من الساعات التى يستعلم بها الوقت المحتوية على عدة آلات هندسية متقنة محكمة حتى وفت بالغرض وضبطت الاوقات حتى الثوانى منها لاشك عنده ولا ريب فى ان لها صانعا صنعها وان هذا الصانع له قدرة كافية لصنعها وعلم كاف لاتقانها واحكامها حتى تفى بالغرض المقصود منها ومن يصدق بانها حصلت وتكونت بنفسها بطريق الصدفة بدون صانع صنعها واتقنها او ان صانعها عاجز مقطوع اليدين والرجلين جاهل بفنون الهندسة والصنائع بل هو خامل الفكر جاهل بكل علم ومع ذلك صنعها بذلك الاتقان والاحكام فيعد هذا المصدق من الحمقاء الذين لا يفرقون بين الارض والسماء فكذلك اذا نظرنا فى هذا العالم مع ما احتوى عليه من عجائب كواكبه وغرائب حيوانه ونباته ومعادنه التى ملأت علومها الكتب وشحنت بها الصحف ولم نزل قاصرين عن الاحاطة بكل ما اشتملت عليه من العظمة والغرابة كما يعلم من الاطلاع على كتب الفنون المتكلمة بالكلام على هذه الانواع نجزم قطعا مع غاية الطمئنان قلوبنا بان هذا العالم بجميع مشتملاته لا بد له من صانع صنعه وابرزه بهذا الاتقان والاحكام ونوع انواعه وصنف اصنافه وميز اشخاصه وهو قادر أتم

القدرة وعالم أكمل العلم يستحيل عليه العجز والجهل ومن نسب ذلك الصنع العظيم العجيب الى حدوثه بنفسه صدفة واتفاقا أو الى شيء آخر عاجز جاهل خال عن كل إدراك ومعرفة فلاشك أنه من احمق الحمقاء وأجهل الجهلاء وان تستر بتمويهات واهية وخرافات ساقطة اذ فطرة العقل السليم تابى تصديق دعواه الباطلة فنحن نجزم بما اعتقدناه من نسبة صنع هذا العالم للاله القادر العليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبير

﴿ الصفة العاشرة (السمع) ﴾

يجب لله تعالى صفة السمع وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بصماخ واذن تنكشف بها مسموعاته تعالى ويستحيل عليه ضده وهو الصمم والدليل على ذلك ان الصمم نقص والنقص على الله العالم الذي أوجده مكملا ووهب السمع لبعض انواعه وجعله من أكبر النعم عليهم محال واذا استحال عليه سبحانه الصمم وجب له السمع وهو المطلوب

﴿ الصفة الحادية عشرة (البصر) ﴾

يجب لله تعالى صفة البصر وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بمقلة ولا حدقة تنكشف له تعالى بها مبصراته ويستحيل عليه ضده وهو العمى والدليل على ذلك ان العمى نقص والنقص على الله تعالى الذي أوجد هذا العالم مكملا وزين بعض أنواعه بنعمة البصر محال واذا استحال

عليه تعالى العمى وجب له البصر وهو المطلوب

﴿ الصفة الثانية عشرة (الكلام) ﴾

يجب لله تعالى صفة الكلام وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت تدل على الواجبات والمستحيلات والجائزات ما كان منها وما يكون يفهم بها سبحانه ما يريد إفهامه لاحد عباده ويستحيل عليه ضده وهو البكم والدليل على ذلك ان البكم نقص والنقص على الله تعالى إله العالم الذي أوجده وكمل بعض أنواعه بالنطق والكلام محال واذا استحال عليه سبحانه البكم وجب له الكلام وهو المطلوب

وتوضيح دليل وجوب صفة السمع والبصر والكلام له تعالى واستحالة اضدادها وهي الصمم والعمى والبكم بنوع بسيط ان نقول إن الصفات التسع التي تقدم اثبات وجوبها له تعالى واستحالة اضدادها وهي اى تلك الصفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والارادة والقدرة والعلم وان كان عليها مدار الالوهية ووجود إله متصف بها يكفي في توجيه وجود هذا العالم ويقنع العقل السليم لكننا اذا تأملنا بعد ذلك في شان هذا الاله سبحانه وفي بديع مصنوعاته وما حوت عليه من كمال الاتقان والاحكام بحيث إنه سبحانه اعطى كل شيء كماله وكل ما يقوم بوجوده ويصلح لشانه نجزم بانه اذا كانت مصنوعاته

في هذا الكمال فمن المستحيل ان يكون هو سبحانه ناقصا لا ننافي جميع ما نتصوره لا نجد الشيء يوجد مثله فضلا عن أن الناقص يوجد ويبتدع الكامل أو أن الكامل يوجد اكمل منه هذا الانسان هو اعلم الحيوانات وأقدرها في الصناعة مهما صنع وابتدع فانه لا يقرب في صنعه من الكمال الذي هو قائم فيه فضلا عن ان يصنع مثله أو أكمل منه فلا يقدر على صنع نبات فضلا عن صنع حيوان أو انسان بل لو سقطت شعرة من جسده لا يقدر على اعادتها كما كانت وما تراه يجري على يده من ظهور النبات والحيوان فانما هو بمباشرته الأمور التي جعلها الله تعالى اسبابا عادية لتولد النبات أو الحيوان فتراه يضع البزر في الارض ويعرضه للحرارة ويسقيه الماء فينبت منه النبات وهو لا يدري كيف نبت وحدثت فيه سائر خواصه من اللون والطعم والرائحة وغير ذلك وكذلك يضع بيض الطائر في الحرارة فيتولد منه طائرة وهو لا يدري كيف تكون ذلك الطائر وشق سمعه وبصره وتصور لحمه ودمه وسائر أعضائه وفي هذا بيان ظاهر ان الانسان لم يضع النبات والحيوان وانما تسبب في صنعهما مع جهله بكيفية نشأتهما عن اسبابهما وإله العالم هو المتفرد بصنعه جل وعز فعلى جميع ما تقدم نجزم بان هذا الاله الذي اوجد العالم من العدم ونوع منه الانواع التي تحار فيها الافهام وكمل بعضها بالسمع والبصر والكلام يجب ان يكون له مرتبة الكمال في صفاته التي ثبتت لدينا بالدليل العقلي وفي كل صفة كمالية تليق به

تعالى والا كان دون مصنوعاته وذلك خلاف ما يصدق به العقل فنعتقد انه سبحانه وتعالى سميع بصير متكلم بل متصف بكل صفة كمالا تليق بشان الالوهية ويستحيل عليه تعالى الصمم والعمى والبكم وهو الذي ابدع السمع وانار البصر واطلق اللسان بالكلام كما يستحيل عليه تعالى ان يكون ناقصا في صفة كمالية وقد اوجد في مصنوعاته كل كمال

هذا ويسوغ لنا معشر المسلمين ان نكتفي في اعتقاد ثبوت هذه الصفات الثلاث وهي البصر والسمع والكلام له تعالى على الدليل السمعي من نحو قوله تعالى (وهو السميع البصير) وقوله (وكلم الله موسى تكليما) ونخرج بذلك عن خطة التقليد كما هو مقرر

صفة . عشرة (حياة)

يجب لله تعالى صفة حياة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تصحح عقلا اتصافه بصفاته الجليلة من نحو القدرة والارادة والعلم ويستحيل عليه تعالى ضدها وهو الموت والدليل على ذلك انه لو كان ميتا لما صح اتصافه بصفاته التي قام الدليل على وجوب اتصافه بها من نحو القدرة والارادة والعلم لكن قام الدليل على وجوب اتصافه بها فمن المحال ان يكون سبحانه وتعالى ميتا واذا استحال عليه الموت وجب له الحياة وهو المطلوب

﴿الفصل الثالث﴾

(في بيان أن من صفات الله تعالى التي تقدمت ما يتعلق بالاشياء ومعني تعلقها وان منها مالا يتعلق بشيء)

اعلم أن صفات الله تعالى الثلاثة عشرة التي تقدم لنا اقامة الدلائل على وجوبها له تعالى واستحالة اضدادها منها مالا يتعلق بشيء وهى سبع صفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والحياة ومعنى عدم تعلقها بشيء أنه لا يكون بها وتخصيص الاشياء ولا إيجادها ولا كشفها ولا الدلالة عليها كما يكون للصفات الآتية ومنها ما يتعلق بالاشياء وهى ست صفات له تعالى وهي الارادة والقدرة والسمع والبصر والعلم والكلام

أما الارادة والقدرة فيتعلقان بالجائرات فقط ولا يتعلقان بالواجبات والمستحيلات فالارادة تتعلق بالجائز تعلق تخصيص فيخص الله تعالى بها في الازل الجائز ببعض ما يجوز عليه مثلا يخصص الله تعالى في الازل زيدا بأنه يوجد أم لا وبأنه اذا وجد يكون على صفة كذا في الزمن الفلاني والمكان الفلاني والجهة الفلانية من الارض وهلم جرا وبهذا التخصيص يجب أن يكون هذا الجائز على ما خصصه الله تعالى به بارادته ويستحيل أن يكون بخلاف ذلك لانه لو كان بخلاف ما أراده الله تعالي فيه لزم

أن يكون الله تعالى كارها مقهورا يحصل في ملكه ما لا يريده وهي حالة لا يرضى بها المخلوق المملوك فما بالك بالخالق ملك الملوك سبحانه وتعالى والقدرة له تعالى تتعلق بالجائز تعلق تأثير بإيجاده أو بإعدامه على طبق ما تعلقت به الإرادة في الأزل مثلا إذا تعلقت إرادته تعالى في الأزل بإيجاد زيد على صفة كذا في زمن كذا في مكان كذا فإذا جاء الزمن الذي تعلقت إرادته تعالى بإيجاد زيد فيه تعلقت قدرته تعالى بإيجاده فيوجده سبحانه فيه بقدرته على الصفة التي خصصه بها في المكان الذي خصصه له بإرادته وكذلك إذا تعلقت إرادته تعالى بإعدام عمرو على وجه مخصوص تعلقت قدرته تعالى بإعدامه فيعدمه سبحانه بقدرته على طبق تعلق الإرادة بدون تخلف وإلا لزم تخلف إرادة الله تعالى وهو محال كما تقدم قريبا

واعلم أن تعلق كل من إرادة الله تعالى وقدرته لا إيجادا ولا إعداما بالواجبات كذاته تعالى وصفاته وملازمة الجرم الحيز ولا بالمستحيلات كالشريك له تعالى والجمع بين النقيضين ككون زيد موجودا معدوما في آن واحد فلأن الواجب حاصل حتما ولا يمكن خروجه عن الوجود إلى العدم فلا تتعلق به الإرادة والقدرة لا إيجادا لأن ذلك تحصيل حاصل وهو محال ولا إعداما لاستحالة عدمه وخروجه عن الوجود ولأن المستحيل معدوم حتما لا يقبل الوجود فلا تتعلق به الإرادة والقدرة لا إعداما لأن ذلك تحصيل حاصل وهو محال ولا إيجادا لاستحالة وجوده وخروجه عن العدم وعلى تقدير تعلق

المقام لو سأل سائل وقال هل يقدر الله تعالى على اعدام الواجب الفلانى اوعلى ايجاد المستحيل الفلاني كشريكه تعالى فالجواب المقترن بالادب ان تقول ان البرهان قد دل على ان قدرة الله تعالى لا تتعلق بالواجبات ولا بالمستحيلات لا ايجادا ولا اعداما وماذكرت ايها السائل فهو من الواجبات أو من المستحيلات فقدرة الله لا تتعلق بهما ولا نقول انه تعالى لا يقدر على ذلك لان هذا من سوء الادب فى جانب الحضرة الالهية ويوهم العجز عليه تعالى وتقدس

اما السمع والبصر له تعالى فيتعلقان بجميع الموجودات سواء كانت واجبات او جائزات تعلق انكشاف ولا يتعلقان بالمعدومات سواء كانت مستحيلات اوجائزات فيرى سبحانه وتعالى ذاته الكريمة وصفاته ويسمع كلامه كما انه يري ويسمع كل مرئى ومسموع جائز من مخلوقاته فيري الذرة فى الليلة الظلماء ويسمع صوت مشيها على الصخرة الصماء لان سمعه وبصره تعالى ليس كسمع الحوادث وبصرهم الحادثين الناقصين المتوقف ادرا كهما على شروط وأسباب عادية

واما علمه تعالى وكلامه سبحانه فيتعلقان بالواجبات والمستحيلات والجائزات الموجودات منها والمعدومات اما علمه فيتعلق بهذه المذكورات تعلق انكشاف فيعلم الله تعالى بعلمه الواجب وانه واجب وذلك كذاته المقدسة وصفاته ويعلم بعلمه المستحيل وانه مستحيل وذلك

كالشريك له تعالى و يعلم الجائز وانه جائز سواء كان موجودا او معدوما سيوجد اولا يوجد فيعلمه سبحانه على ما هو عليه ولا يعزب عن علمه سبحانه شيء من كلي اوجزئي في الارض اوفي السماء فيعلم عدد الرمال وقطرات الامطار وورق الاشجار وذرات الكائنات ولا نهاية لمعلوماته سبحانه واما كلامه تعالى فيتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق دلالة فكلامه سبحانه الذي ليس بحرف ولا صوت يدل على كل واجب ومستحيل وجائز موجودا ومعدوم بكل ما هو عليه ويفهم الله تعالى بكلامه كل واحد منها لمن اراد افهامه من عباده كملائكته ورسله عليهم الصلاة والسلام

الفصل الرابع

(في بيان ما يجب ان نعتقد بجميع صفاته تعالى واسمائه)
(التي ورد الشرع بما يفيد ثبوتها له تعالى مع بيان)
(ان اسماءه تعالى توقيفية)

نعم انه قد ثبت عندنا معشر المسلمين ان سيدنا (محمدا) بن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم هو رسول الله تعالى بدليل ما ظهر على يديه من المعجزات الخارقة للعادة التي كان ظهورها على يديه تصديقا له من جانب الله تعالى بدعوى الرسالة وحيث ثبت انه رسول الله يجب له الصدق في جميع ما يخبر به و يستحيل عليه الكذب كما سيأتي برهان جميع ذلك في

الباب الثاني ان شاء الله تعالى وجب علينا وصح لنا تصديقه في جميع ما جاء به في نصوص شريعته من اثبات الصفات لله تعالى وقد جاء في نصوص شريعته من القرآن الشريف وحديثه المنيف ما يفيد وصف الله تعالى بالصفات التي تقدم ذكرها مع اثباتها لله تعالى بالدليل العقلي واستحالة أضدادها وهي التي عليها مدار الالوهية وعظمة شان الربوبية وجاء ايضا في نصوص الشريعة ما يفيد وصف الله تعالى بصفات اخري كمالية من انه تعالى عدل حكيم صمد هاد خالق رزاق قيوم الى امثال ذلك مما صرحت به نصوص الشريعة الحمدية فيجب الايمان بجميع ما ورد له تعالى من الصفات العلية في نصوص الشريعة الاحمدية لان المخبر بها وهو رسول الله صادق مجزوم بصدقه بما قام من دلائل رسالته من عند الله تعالى

ثم كما جاءت نصوص الشريعة باثبات الصفات له تعالى كذلك جاءت باسمائه اسمائه سبحانه التي سمي بها نفسه ومنها لفظ الله الذي هو الاسم الخاص به تعالى وهذا اللفظ الكريم كان اللغة العربية تطلقه على الاله سبحانه قبل ارسال سيدنا (محمد) عليه الصلاة والسلام كذلك جاءت الشريعة باطلاقه عليه تعالى فتسميته تعالى به تسمية شرعية لتمد بها على نص الشريعة وهكذا بقية اسمائه تبارك وتعالى فتسميته بكل منها شرعية ولا يجوز تسميته باسم لم يرد به الشرع الشريف وهذا معنى قول علماء الاسلام إن اسماء الله تعالى توقيفية اى ان اطلاق كل اسم منها عليه بتوقيف الشرع

الشريف ولا يجوز اطلاق اسم عليه تعالى بدون توقيفه

الفصل الخامس

﴿ في بيان ما ورد في نصوص الشريعة نسبته الى الله تعالى ﴾
(مما يوهم التشبيه والمماثلة للحوادث و بيان كيفية)
(اعتقاد اهل السنة والجماعة في ذلك)
(وطرق تأويله عند الحاجة اليه)

إعلم انه كما ورد في الشريعة المحمدية ما يفيد وصف الله تعالى بصفات كمالية منها ما قامت الدلائل العقلية على ثبوتها له تعالى ومنها ما ليس كذلك لكن لما خبر به الرسول المبرهن على صدقه بالمعجزات ولا مانع عقلا يمنع من ثبوتها له تعالى آمنا وصدقنا به وذلك مثل كونه تعالى قابل التوبة من عباده وانه يثيب الطائع و يعذب العاصي كذلك وقد ورد في نصوص الشريعة الغراء نسبة اشياء لله تعالى توهم ظواهرها مماثلته ومشابهته للحوادث وسميت تلك النصوص بالمتشابهات والحال ان الدليل العقلي قد قام على وجوب مخالفته تعالى للحوادث واستحالة مماثلته لها وكذلك الدليل النقلي ورد بذلك قال الله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فنعتقد في تلك النصوص المتشابهات ان لها معاني صحيحة تليق به تعالى خالية عن استلزام مماثلته تعالى

للحوادث وليست هي المعاني المتبادرة من ظواهر تلك النصوص لمستلزمة المماثلة ونفوض علم حقيقة تلك المعاني الصحيحة اليه سبحانه فنكون بذلك الاعتقاد منزهين له تعالى عن مماثلة الحوادث ومفوضين في علم ما اراد من تلك النصوص وهكذا كان اعتقاد السلف الصالح رضي الله عنهم لكن لما ظهر بعض الفرق المبتدعة وتمسكوا بظواهر تلك النصوص المتشابهات واعتقدوا المعاني المتبادرة منها المستلزمة لمماثلته تعالى للحوادث وخيف على اعتقاد بعض الضعفاء في الدين من سريان بدعتهم اليه تاول العلماء المتاخرون هذه النصوص المتشابهات تاويلات مناسبة موافقة للادلة العقلية على ما ذكر في كتب التفاسير وشروح الاحاديث وهم في تلك التاويلات عند لتصدر لرد مذهب المبتدعة او تثبيت عقيدة الضعفاء منهم يقولون ما دامت تلك النصوص المتشابهات محتملة لمعان صحيحة مناسبة موافقة للادلة العقلية جارية على قواعد اللغة العربية فبالحمل عليها احتمالا يحصل التوفيق بينها وبين الادلة الدالة على وجوب مخالفته تعالى للحوادث واستحالة مماثلته تعالى لها ونسلم من اعتقاد ما ربما يخرج به المرء عن الايمان والعياذ بالله تعالى وبيان الطريقتين في ذلك انه قد ورد قوله تعالى في القرآن المجيد (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى (ويبقى وجه ربك) وقوله تعالى (يد الله فوق ايديهم) وقوله تعالى (والسموات مطويات بيمينه) وقوله تعالى (وجاء ربك) الى غير ذلك

من الآيات وورد في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام رأيته ربي في احسن صورة وقوله عليه الصلاة والسلام إن الجبار يضع قدمه في النار وقوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربكم الى سماء الدنيا الى غير ذلك من الاحاديث فالطريق الاسلم الذي درج عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم أن نقول في هذه النصوص إن لها معاني غير ما يتبادر منها وهي صحيحة موافقة للادلة العقلية والنقلية الدالة على وجوب مخالفته تعالى للحوادث وإنا نؤمن بها ونفوض معرفة حقيقتها الى علم الله تعالى وهذا القدر يكفي في صحة الايمان فاستواؤه تعالى على العرش هو صفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كاستواء الحادث المستلزم للجسمية والجهة والنزول الى سماء الدنيا صفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كنزول الحادث المستلزم لانتقال من حيز الى حيز والمجيء كذلك ونقول ايضا ان له تعالى يدا وعينا وقدما ليست كأعضائنا بل هي على ما تليق به سبحانه لا تستلزم التجزؤ والمقدار وهو سبحانه أعلم بحقيقة تلك المعاني التي ارادها من تلك النصوص وهكذا القول في كل نص متشابه وان تصدينا لرد مذهب المبتدع المدعي مماثلته تعالى للحوادث تمسكا بظواهر هذه النصوص اوارادة تثبيت عقيدة الضعفاء في الدين فنقول على طريق الخلف بل ان تلك النصوص تحتمل معاني غير ما يتبادر منها لا تستلزم مماثلته تعالى للحوادث وبالحمل عليها توافق الادلة العقلية والنقلية الدالة على تنزيهه تعالى عن المماثلة وتأمن

بذلك من الخطأ في الاعتقاد الذي يؤدي الى الكفر والعياذ بالله تعالى
وبيان ذلك انه يحتمل أن المراد من الاستواء على العرش هو الاستيلاء
والقهر كما قال الشاعر العربي (قد استوى بشر على العراق) أي استولى
والمراد بذلك بيان عظمته تعالى ونفوذ حكمه على كل شيء من هذا العالم
ويحتمل ان المراد بالنزول الى سماء الدنيا هو الاقبال على عباده وقد ورد
في اللغة العربية النزول بمعنى الاقبال فالمعنى أن الله تعالى يقبل على عباده
في ذلك الحين فعبر عن ذلك الاقبال بالنزول الى سماء الدنيا ويحتمل أن
المراد بالمجيء هو الاقبال أيضا وان المراد وجاء أمر ربك وسلطانه
ويحتمل ان المراد بالوجه الذات فانه يطلق ويراد به الذات وان المراد باليد
واليمين القدرة وكل ذلك له شواهد من الاستعمالات اللغة العربية التي جاء
القرآن والاحاديث النبوية بها وهكذا يجري التأويل في كل ما ورد من
المتشابهات فليس شيء منها الا وقد وجد له العلماء تأويلا مناسبا موافقا
للادلة العقلية على قانون اللغة العربية وقد أفرد والذلك كتبا تكلمت ببيان
ذلك فعلى كل مكلف ان يؤمن بجميع ما ورد من تلك النصوص المتشابهات
ويعتقد ان لها معاني صحيحة لائقة به تعالى غير مستلزمة لما تلته تعالى
للحوادث ويفوض معرفة حقيقتها المرادة منها الى علم الله واذا احتاج
الى التأويل في دفع مذهب مبتدع او لرفع الوسوسة عن قلبه ولم يكن اهلا
للتأويل فليرجع الى العلماء الاعلام ويفهم منهم تأويل ما أراد تأويله ولا

يستقل به وهو ليس أهلاله خشية أن يقع في خطأ يدخله في البدعة أو في الكفر نسأل الله تعالى الحفظ والسلامة وليعلم ان النصوص والمتشابهات التي مر الكلام عليها في هذا الفصل هي الآيات القرآنية وأحاديث الرسول الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام وأما ما ينسبه الى الرسول عليه السلام بعض أهل الاخبار ولم يثبت عنه عليه الصلاة والسلام بنقل العدول فهذا وأمثاله لا يجب علينا التصديق به فضلا عن الاحتياج الى تأويله والله تعالى اعلم

﴿ الفصل السادس ﴾

(في بيان ما يجوز في حق الله تعالى و بيان مسائل)
(خالفنا فيها اهل البدع)

قد تقدم بيان ما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه سبحانه فلنشرح الآن في هذا الفصل ما يجوز في حقه تعالى فنقول

يجوز حقه تعالى فعل كل جائز او تركه مهما كان الجائز عظيما دقيق الصنعة فالله تعالى قادر علي صنعه والدليل علي ذلك من نصوص الشرع الشريف قوله تعالى (والله على كل شيء قدير) والدليل عليه عقلا ان الله تعالى تام القدرة كامل العلم وان كل جائز هو قابل للوجود والعدم فيكون الله تعالى قادرا على ايجاده واعدامه والذي يوضح جواز فعله

تعالى لكل جائز او تركه مهما كان الجائز عظيما دقيقا مانشاهده في هذا العالم من عظائم مصنوعاته تعالى وغرائب مبتدعاته فانه قد تصرف فيها بقدرته ايجادا واعداما نعم قد جرت عادته تعالى بان لا يوجد خوارق العادات اي الامور العظيمة التي لم تجر العادة بوجوده الا على ايدي رسله عليهم الصلاة والسلام معجزة لهم وتصديقا لدعواهم الرسالة او على ايدي اوليائه كرامة لهم او على ايدي بعض عباده معونة لهم او استدراجا او خذلانا كما سيأتي تفصيله وكل ذلك في النادر

ومن الجائز في حقه تعالى خلق الخير والشر ولا يكون ذلك منه قبيحا خلافا لبعض المبتدعة لانه تعالى فاعل مختار يتصرف في ملكه كيف يشاء وربما لا يكون الشيء حسنا في نفسه وان خفي علينا حسنه وعددناه شرا على ان الشر يكون شرا بالنسبة الينا ولذلك نؤاخذ بكسبه ومخالفة النهي عنه ويكون فعله منا قبيحا واما بالنسبة اليه تعالى فلا يقال ان الشيء الفلاني خير والشيء الفلاني شر لانه سبحانه لا ينتفع بشيء ولا يتضرر من شيء وايضا انه كثيرا ما يقع الشر في الكون فلو كان بغير خلقه وارادته تعالى لزم ان يقع كثيرا في ملكه ليس بخلقه ولا بارادته وهو عجز وقهر على منصب الالوهية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

ومن الجائز عليه تعالى ان يفعل غير الصالح وغير الاصلح في حق عباده ولا يجب عليه ان يفعل ذلك في حقهم خلافا لبعض المبتدعة لانه لو وجب عليه

تعالى فعل الصالح والاصلح لعباده لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر وفى الاخرة بالعذاب الاليم لان الاصلح له عدم خلقه وان خلق فالاصلح له اماتته صغيرا اوسلبه عقله قبل بلوغ سن التكليف لكنه تعالى خلق ذلك الكافر ولم يفعل الاصلح فى حقه فظهر انه تعالى لايجب عليه فعل الصالح والأصلح لعباده بل هو الفاعل المختار الذى يفعل مايشاء ويحكم بما يريد

ومن الجائز فى حقه تعالى عقلا ان يعذب المطيع وينعم العاصى ولايقبح ذلك منه لانه مالك مطلق فاعل مختار ولانه ان اثابنا فبفضله وان عذبنا فبعدله ولا تاثير للطاعة في وجوب الثواب ولا تاثير للمعصية فى وجوب العذاب لكن لما ورد فى نصوص الشريعة المحمدية وعده سبحانه وتعالى للمطيع بالثواب ووعيده للعاصي بالعقاب صار واجبا شرعا ان لايتخلف وعده ولا وعيده لانه لو تخلف ذلك لزم الكذب والخلف فى خبره تعالى وذلك محال لكن الوعد بالثواب يوجب شرعا ان لا يتخلف فى حق احد من المطيعين لانه نقص والنقص عليه تعالى محال واما الوعيد بالعقاب فقد اخرج منه المؤمنون المغفور لهم بالدلائل الدالة على ان الله تعالى قد يغفر لبعض عباده الذنوب واما الكفار فلا يتخلف الوعيد فى حقهم للادلة الشرعيه الدالة على تحتم خلودهم في النار واما المؤمنون غير المغفور لهم معاصيهم فلا بدمن نفوذ الوعيد فى حقهم ولو تعذيب واحد منهم لئلا يلزم الخلف في خبره تعالى

ومن الجائز عليه تعالى عقلا أن ينظر بالأبصار لأنه سبحانه وتعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى فهو سبحانه يصح أن يرى لكن لم تقع رؤيته تعالى في الدنيا لغير نبينا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم ورؤيته سبحانه في الآخرة للمؤمنين واجبة شرعا باتفاق أهل السنة والجماعة لنص القرآن والأحاديث الشريفة ولإجماع الصحابة عليهم السلام لكن رؤيته تعالى بلا كيف وبلا انحصار ومعنى قولنا بلا كيف أنها بدون تكيفه سبحانه بكيفية من كيفيات الحوادث من نحو المقابلة للرائي والجهة والتحيز لأن الرؤية قوة إدراكية يجعلها الله تعالى في خلقه لا يشترط فيها عقلا مقابلة المرئي ولا كونه في جهة وحيز ولا غير ذلك وإنما جعلت هذه شروطا عادية يجوز أن يخلق الله تعالى الرؤية بدونها ومعنى قولنا إن رؤيته تعالى بلا انحصار أي بدون انحصاره تعالى عند الرائي بحيث يحيط به لاستحالة الحدود والنهايات له تعالى ولا تخالف بين وجوب رؤية المؤمنين له تعالى وبين قوله في القرآن الشريف لا تدركه الأبصار لأن معنى إدراك الأبصار رؤيتها على وجه الإحاطة بحيث يكون المرئي متحيزا بحدود ونهايات وهذا لا نقول به لأنه محال عليه تعالى وقد خالف في جواز رؤيته تعالى بعض المبتدعة وتمسكوا بشبه مردودة عليهم في الكتب المطولة

ومن الجائز عليه تعالى إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق فليس إرسالهم واجبا عليه تعالى ولا مستحيلا بل لطف منه تعالى وإحسان ورحمة

محض التفضل لما في ارسالهم من الحكم والمصالح التي لا تحصى منها معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الاله سبحانه وعلمه وقدرته ومنها استفادة الحكم فيما لا يستقل به العقل مثل المعاد الجسماني والحساب ومنها بيان حال الافعال التي تحسن تارة وتقبح اخرى من غير اهتداء العقل الى مواقعها ومنها بيان منافع الاغذية والادوية ومضارها التي لا تفي بها التجربة الا بعد ادوار واطوار مع ما فيها من الاخطار ومنها تكميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم المختلفة في العلميات والعمليات ومنها تعليم الصنائع الخفية من الحاجات والضروريات ومنها تعليمهم الاخلاق الفاضلة الراجعة الى الاشخاص والسياسات الكاملة العائدة الى الجماعات في المنازل والمدن ومنها الاخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصي ترغيبا في الحسنات وتحذيرا عن السيئات الى غير ذلك من الفوائد ثم بعد اعتقاد جواز ارسالهم في حق الله تعالى وانه ليس بواجب عليه يجب علينا اعتقاد حصول ارسالهم من لدن آدم الى رسولنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وسلم وسيأتي بيان كيفية تفصيل الايمان بهم عليهم الصلاة والسلام في الباب الثاني والله الموفق

﴿ الباب الثانى ﴾

« في بيان الايمان بالرسل والانبياء والملائكة والكتب »
« واليوم الآخر وما يتبع ذلك وفيه خمسة فصول »

﴿ الفصل الاول ﴾

(فى بيان الايمان بالرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام)

اعلم ان الرسول هو انسان ذكر حر أوحى الله تعالى اليه بشرع وامره بتبليغه للخلق وان لم يؤمر بالتبليغ سمى نبيا فقط . تقدم ان ارسال الرسل من الجائز على الله تعالى ولكن قد حصل منه تعالى ارسالهم تفضلا على عباده لما فيه من الفوائد الكثيرة . الايمان بالرسل هو أن نؤمن بان الله تعالى ارسلهم مبشرين ومنذرين وايدهم بالمعجزات الخارقة للعادات وان نؤمن بما يجب لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام فيجب لهم الامانة ويستحيل عليهم ضدها وهو الخيانة ويجب لهم الصدق ويستحيل عليهم ضده وهو الكذب ويجب لهم الفطانة ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم الفطنة ويجب لهم تبليغ ما امرهم الله تعالى بتبليغه للخلق ويستحيل عليهم ضده وهو كتمان ذلك ويجوز فى حقهم الاعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية وكمال الايمان

بما ذكرنا ان يكون مقرونا بالدليل فنقول في بيان ذلك
يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام الامانة وهي العصمة ومعناها حفظ
ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمعصية ويستحيل عليهم ضد الامانة
وهي الخيانة فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب وامثال
ذلك من المنهيات الظاهرة ومحفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وامثال
ذلك من المنهيات الباطنة وما أوهم من النصوص الشرعية وقوع المعصية
منهم فمؤول بتاويلات حسنة مذكورة في كتب التفاسير وشروح
الاحاديث النبوية وعلى المكلف اذا اشتبه بشيء من تلك النصوص في
حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ان يرجع في تاويله الى العلماء الاعلام
ليفهم منهم تاويله ويكون اعتقاده موافقا لاعتقاد اهل السنة والجماعة
والدليل على وجوب الامانة للرسل عليهم الصلاة والسلام واستحالة
الخيانة عليهم انهم لو خانوا بفعل معصية لكنا مامورين به لانه تعالى امرنا
باتباعهم في اقوالهم وافعالهم واحوالهم من غير تفصيل والله سبحانه وتعالى
لا يامر بالمعصية ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام الصدق ويستحيل عليهم
ضده وهو الكذب اما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم فيما
يبلغونه عن الله تعالى فالدليل عليه انه لو كذبوا في ذلك للزم الكذب في خبره
تعالى لتصديقه لهم بالمعجزات وهي خوارق العادات التي يجريها الله تعالى
على ايديهم تاييدا لهم لانها نازلة منزلة قوله سبحانه صدق عبدي في كل ما يبلغ

عنى وتصديق الكاذب كذب وهو محال عليه تعالى فيكون كذبهم فيما يبلغون عنه تعالى محالا واذا استحال كذبهم فى ذلك وجب صدقهم فيه وهو المطلوب واما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم فى غير ما يبلغونه عنه تعالى فالدليل عليه انهم لو كذبوا لكان كذبهم خيانة تخالف وجوب الامانة والعصمة لهم وقد تقدم الدليل على وجوب الامانة لهم واستحالة الخيانة عليهم صلى الله تعالى وسلم عليهم اجمعين

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام الفطانة وهى التفطن والتيقظ ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم اليقظة والدليل على ذلك انه لو لم يكونوا فطناء وكانوا مغفلين لما امكنهم اقامة الحجة على اخصامهم والمجادلة معهم لاقناعهم بالحق وهذا يخالف منصبهم الذى ارسلوا به وهو هداية الخلق الى الحق فوجب بذلك لهم الفطانة واستحال عليهم ضدها وهو الغفلة وهو المطلوب

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام تبليغهم للخلق ما امرهم الله تعالى بتبليغه ويستحيل عليهم ضده وهو كتمانهم شيأ من ذلك والدليل على ذلك انهم لو كتموا شيأ مما امروا بتبليغه للخلق لكنا مامورين بكتمان العلم لان الله تعالى امرنا بالاقتداء بهم وكوننا مامورين بكتمان العلم باطل فكتمانهم شيئا مما امروا بتبليغه للخلق يكون باطلا فوجب لهم تبليغ ما امروا بتبليغه واستحال عليهم كتمان شيء من ذلك وهو المطلوب

واما الجائز فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو سائر الاعراض

البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية وذلك كالاكل والشرب وجماع النساء في الحلال والامراض التي لا تخل بمنصب الرسالة ولا تكون منفرة للخلق عن الاجتماع بهم ولا اخذ عنهم والدليل على ذلك مشاهدة تلك الاعراض بهم وهي لا تخل بمنصب الرسالة واما الامراض التي تخل او تنفر عنهم الخلق مثل الجنون والاغماء الطويل والجذام والبرص والعمى فهي ممتنعة عليهم ولم يثبت ان شعيبا كان اعمى وما كان بايوب من البلاء فقد كان ما تحت الجلد ليس منفرا وما اشتهر في قصته من الحكايات المنفرة فهي باطلة

واما السهو فممتنع عليهم في الاخبار البلاغية اي التي يبلغونها للخلق نحو الجنة اعدت للمتقين وفي غير البلاغية ايضا نحو قام زيد وذهب عمرو ولانه يورث الشبهة لبعض الضعفاء في عموم اخبارهم وهو ينافي منصب الرسالة واما السهو في افعالهم غير البلاغيه والبلاغيه كالسهو في الصلاة فهو غير ممتنع عليهم وحكمه وقوعه منهم ان يرى الناس كيف يعملون عند حدوثه السهو في عباداتهم لان دلالة الفعل اوضح من دلالة القول . واما النسيان فهو ممتنع عليهم في البلاغيات قوليه كانت او فعليه فالقوليه نحو الجنه اعدت للمتقين والفعلية نحو صلاة الضحى اذا امروا بفعلها ليقتدي الناس بهم فلا يجوز نسيان شيء من ذلك قبل تبليغ الاولى بالقول والثانيه بالفعل واما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر من جانب الله تعالى لحكمه يعلموا

واما النسيان من جانب الشيطان فمستحيل عليهم اذ ليس للشيطان عليهم سبيل ووسوسة الشيطان لآدم عليه السلام بتمثل ظاهري والممتنع لعبه ببواطنهم والملخص انه يجوز على ظواهرهم مايجوز على بقية البشر مما لايؤدي الى نقص واخلال بمنصب الرسالة وأما بواطنهم فمنزهة محفوظة متعلقة بربهم وما يوهم خلاف هذا فمؤول يرجع في فهم تاويله الى العلماء الاعلام وليعلم ان جميع ماذكر في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام من الوجوب والاستحالة والجواز يلزمنا ان نعتقده في حق الانبياء وهم الذين أوحى الله تعالى اليهم بشرع ولم يامرهم بتبليغه للخلق لانه ربما ترجع اليهم الناس في الاستفتاء عن احكام شرائع الرسل قبلهم ولانهم مامورون ان يلعموا الخلق انهم انبياء ليحترموهم ولانهم يعملون بما اوحي اليهم

ثم ليعلم انه يجب الايمان بجميع الانبياء والرسل اجمالا بان يؤمن المكلف بكل نبي ورسول الله تعالى وبما يجب لهم وما يستحيل ومايجوز والاولى ان لا يعين عددا مخصوصا لاختلاف الروايات في عددهم وقد قال تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) لكن يجب الايمان تفصيلا بالرسل الذين ذكرت اسماؤهم في القرآن الشريف وقد جمعنا اسماؤهم الشريفة في هذه الابيات

اسماء رسل الله في القرآن — خمس وعشرون فخذ بيان

هم آدم ادريس نوح هود — يونس الياس اليسع داود

اسحق ابراهيم لوط موسى ذو الكفل يحى زكريا عيسى
شعيب ثم صالح أيوب هارون ثم يوسف يعقوب
ثم سليمان واسماعيـــل ﴿ محمد ﴾ ختمهم الجليل

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فى شرح معجزات الرسل التى أيدهم الله تعالى بها وبيان طريق وقوعها وإقامة الحجه بها)

علم انه قد تقدم فى هذا الكتاب ان الجائز العقلى هو ما يقبـل الثبوت والانتفاء وان كل جائز فهو داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى مهما كان عظيما ودقيق الصنع وتوضيح ذلك بعد ثبوت ان الخالق لهذه الكائنات هو الله تعالى ما نشاهده من اعماله فى هذه المصنوعات من العظمة والدقة والحكمة ولنشر الى تفصيل بعض ذلك فنقول . لننظر الى عالم الكواكب وما اشتمل عليه من العظمة والغرابة وعجيب الترتيب والانتظام كما يظهر من كتب علم الهيئة التى تكفلت بشرح حقيقة ذلك . ولننظر الى عالم الجويات وما احتوي عليه من الهواء والرياح والبروق والرعود والسحاب والامطار والكائنات الجوية التى افردت بالتاليف وصارت علما واسعا ولننظر الى الارض وما اشتملت عليه من الجبال والاوديه والكهوف والسهول والبحار والانهار والينابيع والمعادن والكائنات الارضيه من

الزلازل والتغيرات العظيمة . ولننظر الى عالم المعادن ومافيها وما احتوى عليه من الانواع المختلفة في الالوان والطعوم الخواص والمنافع . ولننظر الى عالم النبات ومافيه من اختلاف الاشجار والازهار والاثمار المتنوعة في الالوان والروائح والطعوم والاشكال والاقدار والخواص والمنافع وغرائب توالده ونموه واقامته وسائر احواله التي افردت بالتأليف واصبحت علما من اعظم العلوم . ولننظر الى عالم الحيوان ومايحويه من العظائم والغرائب في اختلافه في الصغر والكبر والقوة والضعف والذكاء والبلادة وتباين الاشكال والهيئات والاصناف ومافيه من عجيب التركيب وغريب التاليف ومافي اعضائه من احكام الصنع واتقان الوضع حتى وفى كل عضو بوظيفته واذا نظرنا في انفسنا وما اشتمل عليه الجسد الانساني من غريب الصنع وبديع التركيب لاخذتنا الحيرة وادركتنا الدهشة وفي الاطلاع على كتب التشريح الانساني وما بينته من اعضاء الانسان ووظائفها وغرائب ابنيتها وتراكيبها وانتظاماتها ودقيق صنعها عبرة لاولى الابصار ومن اغرب ما في الانسان حواسه من السمع والبصر والذوق والشم واللمس واغربها حاسة البصر وما احتوت عليه من باهر الصنع بوضع طبقات العين واشكالها وصفاتها وانتظامها واحكامها على نواميس كونية حتى وفت بوظيفة الابصار التي تحتار في كيفية الافكار وتالله ان العلوم التي تكلمت بالكلام على هذه الانواع ما شرح حقائقها واحوالها وان تكن قد جاءت بكثير من عجائبها مما

الاطلاع عليها يربي الايمان في القلوب لمن وفقه الله تعالى و يشهد لصانعها بعظيم القدرة وكمال العلم والحكمة لكن ما نطوي عليه من عجائبها ودقائق حكمها واسرارها هو بحر عجاج لا تدركه العقول ولا تفي بالاحاطة به الروايات والنقول فسبحان من كانت هذه الكائنات بارادته وقدرته وتدبيره وحكمته فبعد التأمل في حدوث هذه الموجودات وانه لا بد لها من صانع هو رب الارض والسموات نعلم قطعا ان كل جائز عقلا مهما كان عظيما جسيما وغريبا عجيبا فهو داخل تحت تصرف قدرة هذا الاله القادر العليم الحكيم ولكن وجدنا انه سبحانه قد وضع في تكوين هذه الكائنات وتصوير تلك العوالم اسبابا وقوانين جرت عادته تعالى في احداث هذه الحوادث عندها فجعل مثلا حدوث النبات بواسطة التراب والماء والحرارة وحدوث الحيوان بواسطة انتقال مادته الاصلية من الذكر الى الانثى وتنميته في جوف الانثى بوسائط شتى مع مرور زمن مخصوص على كل من هذين التكوينين ولكن لدى تدقيق النظر والبحث في الادلة العقلية وملاحظة عظيم قدرته سبحانه وكمال علمه وتدبر عجائب صنعه ظهر لنا معشر أهل السنة والجماعة ان جميع تلك الاسباب والقوانين التي وضعها الله سبحانه وجرت عادته في احداث الحوادث عندها ماهي الاعادية بمعنى ان عادته تعالى جرت باحداث الحوادث عندها لا بتأثيرها وان الزمن الذي خصص لتكونها وحدوثها ماهو الاعادي ايضا وهو سبحانه وتعالى قادر على احداث تلك الحوادث بدون تلك الاسباب

والقوانين وبدون مرور ذلك الزمن الذى يكون ظرفا لتكونها وحدوثها
ويظهر ذلك لمن تامل ان التراب والماء والحرارة لا يظهر فيهما ادنى داع
لان تصور انواع النباتات كل نوع منها على لون وطعم ورائحة وشكل
خاص وليس عندها قدره وعلم وارادة تؤهلهما للتصرف في انواع
النباتات ذلك التصرف لعجيب الغريب وايضا انا نجد انواع النبات
مشتملا على دقائق من الصنعة وغرائب من الوضع قد يحدث فى زمن
قصير جدا ونجد نوعا آخر بسيط التكوين ليس فيه تلك الدقائق ولا
يحتوي على تلك الغرائب وقد يحدث فى زمن طويل ممتد وهذا تنبيه من
الحق تعالى على ان الزمن ليس شرطا متوقفا عليه التكوين توقفا لازما
عقلا بل ان ذلك الزمن لم يجعل ظرفا للتكوين الا عادة جرت للحق تعالى
من غير احتياج اليه والا فلو احتيج اليه لكان الشيء الاغرب فى الصنعة
اطول زمنا من الشيء الذى يكون دونه فى الغرابة وبما تقرر ظهر ان الله
تعالى الذي احدث هذه الكائنات قادر على احداثها بدون تلك
الشروط والاسباب والازمنة الموضوعة لتكونها فيجوز ان
يوجد الله تعالى نباتا فى لحظة طرف اواقل بدون تلك الاسباب
جرت عادته ان يحدث النبات عندها وقادر على ايجاد حيوان
التى كذلك وعلى قلب الجماد نباتا اوحيوانا فى لمحة طرف واحداث
أعظم من ذلك من خوارق العادات ولكن ذلك منه سبحانه لم يكن مطرد

بل قد يجري به على يد رسول من رسله معجزة مصدقة له بدعوى الرسالة كما
قلب عصا سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ثعبانا ثم اعدها عصا في زمن
يسير وهكذا توجيه جميع خوارق العادات التي نقل لنا وقوعها معجزات
للرسل عليهم الصلاة والسلام جرت على ايديهم تصديقا لهم مثل انفلاق
البحر وانشقاق القمر وكلام العجماوات ومجيء عرش بلقيس في لمحة طرف
وبعد ذلك كله فانك ترى بعض من استولت الغفلة على قلوبهم قد سترت
عنهم عظمة مصنوعات الله تعالى المعتادة لديهم وغرابتها الكثرة مشاهدتهم
لها ويعجبون من حدوث شيء نادر الوقوع لم تجر العادة في بروزه لدى
حواسهم وربما يكون هذا الشيء في العظمة ودقة الصنعة دون ما جرت
العادة بحصوله والفته انفسهم وما ذلك الا لعدم اعتيادهم على مشاهدة ما ندر
وقوعه حتى ربما كذبوا من يخبرهم به اشد التكذيب وان كان ثقة عندهم
مثلا تراهم يعلمون ان التراب ينقلب نباتا ثم غذاء ثم دما ثم نطفة ثم بعد
انتقاله لرحم الانثى ينقلب علقة ثم قطعة لحم ثم تتصور حيوانا سميعا بصيرا
شاما ذائقا لامسا ثم يخرج من بطن الانثى ضعيف العقل والقوى ثم يصير
قويا صلبا ولبيبا حاذقا وعالما مدققا ويقول انا وانا وما جسده الا قبضة تراب
وسيعود كما كان ومع ذلك لا يعجبون من جميع ما جرى في هذه التحولات
والاطوار واذا اخبرهم مخبر ان فلانا الرجل الصالح قد شفى الله تعالى فلانا
المبتلي بالبرص على يديه بمجرد انه لمسه ودعا له تجدهم قد عدوا ذلك من المحال

وحسبوا الخبر به من خرافات الاقوال ولو كان المخبر من أصدق الرجال
والحال از شفاء ذلك الابرص على ذلك الوجه ليس بأعظم من تكون
الانسان بتلك الاطوار العجيبة بل دونه في العظمة بكثير وليس الفرق بين
الامرين الا أن الاول قد جرت به العادة والثاني ليس كذلك ولكن مادمنا
نعتقد ان الموجد لكلا الامرين هو الله القادر العليم الفاعل المختار فأى
داع يدعو للاذعان بالاول والانكار للثانى نعم لو ان الدعوي ان ذلك
الرجل الصالح قد اوجد شفاء الابرص بقدرته كان للانكار وجه
وذلك لعدم صلاحية قدرته لاحداث هذا الشفاء ولكن الدعوى ان الله
تعالي قد شفى الابرص على يديه كرامة اكرمه بها فلا وجه للانكار مادام
مخبر صادقا موثوقا به ونسب ذلك التاثير لله تعالى الذي هو قادر على كل جائز
وهذا الامر كان من الجائزات اذا احطت علما بجميع ما قررناه فاعلم ان
الله تعالى لما أرسل الرسل للخلق ايدهم بالمعجزات لتكون دليل صدقهم
فى دعواهم الرسالة والمعجزة هى امر خارق للعادة يظهر على يد مدعى الرسالة
من الله تعالى فالرسول عندما يدعو القوم الذين ارسل اليهم الي تصديقه
وامتثال الشرع الذي يبلغهم اياه عن الله تعالى لا بد انهم يريدون منه دليلا
على صدق دعواه فيقترحون عليه خرق العادة فى الامر الفلانى والامر
الفلاني من نحو انشقاق القمر وخروج ناقة من الصخر وغير ذلك فالله
سبحانه وتعالى يخرق العادة على يد ذلك الرسول ويوجد ما اقترحه عليه

أولئك القوم وحينئذ يظهر لهم صدقه في دعواه و يؤمنون به و بما جاء به من عند الله تعالى لانهم يلزمهم ان يقولوا حينئذ في الاستدلال إن هذا الامر الخارق للعادة لا يقدر على ابرازه للوجود الا الله القادر عليه ولولا ان ذلك الرجل المدعي الرسالة صادق لما اظهر الله تعالى على يديه ذلك الامر الغريب فابرازه على يديه هو تصديق له من جانب الله تعالى بلا ريب فالمعجزة تكون في حق ذلك الرسول نبي حق قومه بمنزلة قول الله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغه عني ونظير ذلك في رجل ادعى في حضرة ملك انه سفير بينه و بين رعيته الحاضرين في حضرة الملك وعليهم ان يصدقوه فيما يبلغهم عن ملكهم فطلب منه اولئك الرعايا ما يدل على تصديق الملك له في تلك الدعوي فقال إن علامة تصديق الملك في ذلك انه يقوم الآن عن كرسيه و يخطو سبع خطوات و يفعل ذلك ثلاث مرات على خلاف عادته فبمجرد سماع الملك ذلك قام عن كرسيه وفعل مثل ما قال الرجل فلاشك ان القوم الحاضرين يجزمون حينئذ بصدق ذلك الرجل و يعدون قيام الملك بتلك الكيفية تصديقا له فيعتمدون جميع ما يبلغهم ذلك الرجل عن ملكهم ومن يقل بخلاف هذا فهو من الحمق بمكان او مكبل بقيود العناد و الخسران واذا علمت هذا فنقول

[illegible] اي اظهر الله تعالى على ايدي الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام [illegible] اوذكر في القرآن المجيد اوفي

صحيح الاحاديث النبوية وشرح
توجيه حصول تلك المعجزات على قانون العقل السليم حتى تندفع شبه المبطلين المنكرين لها من اهل الضلال و يزداد بذلك يقين أهل الحق وعصابة الايمان ولكن بعد أن نتكلم على أشهر المعجزات المذكورة فى القرآن لبعض الرسل نفرد فصلا لمعجزات نبينا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم و نتكلم على بعض الطرق التى أوصلت اتباعه الى الحظوة بتصديقه واتباع طريقه فنقول
من المعجزات التى ذكرت في القران الشريف معجزة سيدنا موسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام بانفلاق البحر حين ضربه بعصاه حتى مر بنوا اسرائيل فيه ونجوا من فرعون ثم اهلك الله تعالى فرعون وقومه بانطباق البحر عليهم عندما ارادوا لحوق موسى وقومه فاعلم ان من بلغه خبر هذه المعجزة إن كان منكر الوجود إله العالم والعياذ بالله تعالى فهذا يكون الصواب فى حقه ان تقام له الدلائل على اثبات وجوده تعالى واثبات صفاته الجليلة ثم بعد ذلك يبين له حال المعجزات وان كان مؤمنا بوجود الخالق سبحانه فمتى تصور عظمة قدرته وتامل فى عظائم اعماله وتصور ان انفلاق البحر ما هو الا جائز عقلي من جملة الجائزات الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى لان العقل يحكم بقبوله للثبوت والانتفاء ولا يلزم من ثبوته محال فلا مانع يمنعه من التصديق بذلك ومما يوضح جواز انفلاق البحران الماء ...

للانقسام كبقية الاجسام وقابل للتماسك كما يشاهد تماسكه بالجمود بالبرد مثلما يرى في الانهر العظيمة التي تجمد أيام البرد وتمر عليها الحيوانات وان كان انفلاق وتماسك ماء البحر بتلك السرعة التي مر بنو اسرائيل بين قطعه ثم رجوعه الي السيلان سريعا حتى غرق فيه فرعون وقومه امورا عظيمة تحتاج الي قدرة تامة فالله سبحانه وتعالى تام القدرة فلا يعجزه ذلك فنحن معشر المسلمين لما اخبرنا بهذه المعجزة القرآن الكريم على لسان رسول الله سيدنا ﴿ محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم الذي تثبت صدقه لدينا بالبراهين العديدة وهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى التامة آمنا وصدقنا بذلك من دون شك ولا ريب وكل منصف اذا تأملها لا يجدها من المحالات والله قادر على إحداثها تاييدا الرسوله وحفظا لعباده المؤمنين وإهلاكا لاعدائه الكافرين

ومن المعجزات التي ذكرت في القرآن المجيد ايضا لسيدنا موسى عليه السلام نبع الماء من الحجر عندما ضربه بعصاه بامر الله تعالى فقيل كان حجرا مخصوصا وقيل المراد أي حجر كان وهنا يقال أيضا ان من بلغه خبر هذه المعجزة ان كان منكرا للخالق تعالى فقد ذكرنا ما هو الصواب في حقه وان كان مؤمنا بوجود الخالق تعالى وتمام قدرته وعظيم اعماله فيكفيه لتصديق هذا الامر ان يتصور أن نبع الماء من الحجر له طريقان جائزان الاول أن الله تعالى يخلق ويبرز من العدم مقدارا من الماء يكفي بني

اسرائيل ثم يجعل سبيل بروزه فى مشاهدتهم من الحجر عندما يضرب به موسى والثانى ان يحول الله تعالى الهواء ماء ويجعل سبيل بروزه في المشاهدة أيضا من الحجر وتحول الهواء ماء وعكسه هو من الامور الجائزة التى دخلت تحت تصرف قدرة الكيماويين كما يعلم من فن الكيمياء وفى هذا العام قدروا ان يحولوا الهواء سائلا من السائلات فما بالك بقدرة من خلق الكيماويين وجميع أعمالهم فنحن معشر المسلمين لما اخبرنا بذلك الصادق ورأينا أن ذلك من الجائزات الداخلة تحت تصرف القادر سبحانه آمنا وصدقنا به وبان الله تعالى اوجده معجزة لسيدنا موسى عليه السلام وابقاء لحياة عباده بنى اسرائيل الذين اعوزهم الماء فى التيه

ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام المذكورة في القرآن الشريف انقلاب عصاه ثعبانا كبيرا ابتلع الحبال والعصى الكثيرة التى سحرتها سحرة فرعون وخيلتها للناس حيات فهذه المعجزة ايضا يقال فيها إن السامع بها ان لم يكن مؤمنا بالخالق تعالى وبعظيم قدرته فقد تقدم ما هو الصواب فى حقه وان كان مؤمنا بالخالق تعالى فيكفيه لتجويز وقوع هذه المعجزة تصوره ان مصنوعاته تعالى العظيمة من عوالم النبات والحيوان كلها حدثت بقدرته وتكوينه وقد حول موادها من صورة الى صورة فقلب التراب نباتا والنبات حيوانا وان الاسباب التى جعلها في هذا الكون لحدوث هذه الكائنات والازمنة التى جعلها ظروفا لحدوثها

ماهي الاعادية والله تعالى قادر على تلك الاعمـال بدون تلك الاسباب
و بدون تلك الازمنة وان الله تعالى قادر على إعدام الاجسام اوتفريقها
هباء لاتدركه الابصار فنحن معشر الامة المحمدية لما اخبرنا الصادق
بحصول تلك المعجزة لسيدنا موسى عليه السلام ونحن نعتقد بكمال قدرة
الله تعالى عليها وعلى اعظم منها من الجائزات آمنا وصدقنا بها وقلنا لا مانع
من ان الله تعالى قلب تلك العصا التي هي جسم نباتي ثعبا ناعظيما وكبر
جسمه بضم بعض الاجسام الارضية اليه و بعد ان ابتلع الحبال والعصي
اعاده عصا بقدرما كانت وافنى الاجسام التي زادها في تكبيره بالاجسام
الحبال والعصي التي ابتلعها اوفرق جميع ذلك وصيره هباء لا يرى وكل
ذلك اوجده الله تعالى بدون الاسباب والازمنة العادية التي شرعها في
الكون لذلك الصنع اذهوقادر على ذلك وكان خرق العادة في هذا الحال
معجزة دالة على صدق رسوله موسى عليه الصلاة والسلام

ومن معجزات سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام التي أخبر بها القرآن
المجيد رفع الطور وهو الجبل فوق بني اسرائيل حتى قبلوا الميثاق وهذه
المعجزة يسلم بجواز وقوعها من يؤمن بوجود الاله القادر و يتامل في اعماله
العجيبة وانه كم رفع من اجرام عظيمة جدا واقامها في الفراغ وان قيل على
مذهب المتاخرين من الفلكيين ان تلك الاجرام قائمة في الفراغ بناموس
الجاذبية قلنا إن من اوجد ذلك الناموس هو قادر على احداث ناموس نظيره
لرفع الطور على ان الاسباب التي وضعها سبحانه وتعالى في هذا الكون ماهي

الاعادية على ماتقدم بيانه فهو قادر سبحانه على إيجاد هذه الكائنات بدون
وجود اسبابها فنحن معشر المصدقين بالقرآن الكريم قد اخبرنا بهذه
المعجزة الصادق وهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القادر
الذي تؤمن بوجوده و بكمال قدرته فنؤمن و نصدق بحصولها بقدرة الله
تعالى معجزة لسيدنا موسى عليه السلام وترهيبا لبني اسرائيل حتى قبلوا
الميثاق ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام ارسال الجراد والقمل
والضفادع والدم على قوم فرعون وانزال المن والسلوى على بني اسرائيل
في التيه وهذه الاشياء يؤمن بجواز وقوعها من يؤمن بالله تعالى القادر على
هذه الامور واعظم منها وتوضيح جوازها انه يشاهد الى الآن في هذا
الكون ارسال الجراد وغيره من الحيوانات المؤذية كالديدان والفيران
على زرع قوم دون قوم ويشاهد ان بعض الاقاليم يفسد ماؤها ويورث
شربه امراضا لاهلها وبعد البحث عن سببه يظهر انه قد تولد في ذلك الماء
حيوانات صغيرة جدا لاتدرك الا بالمكبرات ولعل الدم كان من هذا
القبيل ويشاهد ايضا انه قد يقع عوض المطر اشياء لم يعتد وقوعها ويعلل
وقوعها اهل البحث بان ريحا نقلتها من مكان آخر وانزلتها على آخرين فما
دام الحال ان جميع تلك الاشياء من الجائزات عقلا المشاهد نظيرها في ايامنا
فما المانع من ان الاله سبحانه اوجدها على يد موسى عليه السلام معجزة له
وترهيبا لاقباط اعدائه ورزقا لبني اسرائيل الذين كانوا في التيه يعوزهم

القوت فتفضل عليهم تعالى بالمن والسلوى فنحن معشر المسلمين نؤمن بحصول جميع تلك الجائزات على يد موسى عليه السلام بخلق الله تعالى معجزة له كما اخبرنا بذلك الصادق

ومن المعجزات التى ذكرها القرآن الشريف خروج ناقة من صخرة على يد سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام عند ما طلب منه قومه ذلك حتى يومنوا به فمن يسمع هذا الخبر يكون مصدقا بوجود الإله القادر يكفيه للتصديق بجواز ذلك ان يتصور عجائب صنعه تعالى وانه قادر على قلب التراب حيوانا وتحويل المواد الى صور مختلفة اذ لا مانع من ان الله تعالى صور قطعة من نفس مادة تلك الصخرة من باطنها بصورة ناقة وقلبها للحيوانية بصورة النياق وجعلها حية حساسة ثم فلق الصخرة عنها واخرجها لقوم صالح معجزة له عليه السلام فان الاسباب والازمنة التى جعلها عادته سبحانه فى تكوين الحيوانات ماهى الا عادية وهو قادر على إيجاد الحيوانات بدونها وكم توجد فى باطن الصخور حيوانات مثل الدود لا يدري الباحثون كيف تخلقت داخل الصخر ويوجد حولها نبات دقيق مثل العفن الذى يظهر على الحيطان الرطبة تتغذى به وكلما رعته نبت غيره وقد شوهد ذلك ونقله الثقاة فادام هذا جائزا فى مثل هذه الحيوانات فهو جائز فى مثل الناقة اذ لا فرق الا بالكبر والصغر وهو لا يفيد الاستحالة فى الكبير دون الصغير فنحن معشر المؤمنين نعتقد بحصول تلك المعجزة لانها من الجائزات الداخلة

تحت تصرف قدرة الله تعالى وقد أخبر بها الصادق فهي حق وصدق بلا ريب ومن المعجزات التي أخبر بها القرآن المجيد عدم احتراق سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالنار العظيمة التي ألقاه فيها الملك الكافر الذي حاجه ابراهيم عليه السلام فمن يكن مؤمنا بوجود الاله القادر ويعتقد أن النار لا تحرق بطبعها ولا بقوة أودعت فيها بل احراقها هو بخلق الله تعالى وعدم احراقها من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف الاله سبحانه وان كان ذلك خلاف العادة فلا مانع عنده من تجويز وقوع هذه المعجزة ومن ينكر وجود الخالق تعالى ويعتقد أن النار تحرق بطبعها فهذا يكون الصواب في حقه أن يقدم له أولا الدلائل الدالة على وجود الاله سبحانه وعلى قدرته على كل الجائزات ويوضح له أن النار ليست محرقة بطبعها بل بخلق الله تعالى الاحراق عندما تمس شيئا قابلا للاحتراق اذ لا موجد في نفس حقيقتها يقتضي أن تحرق الاجسام لانه ان قيل ان موجب احراقها هو النور الذي فيها وهو مولد الحرارة المحرقة قلنا هذا نور الحباحب وهو الحيوان الصغير الذي يوجد في الليل على النباتات وفي مؤخره نور يسطع والمادة التي ينبعث منها ذلك النور مادة حيوانية فصفورية لا حرارة فيها ولا احراق وكذلك [illegible] من المواد الفصفورية كما يعلم من فن الكيمياء وان قيل ان موجب [illegible] التي في النار هو اتحاد العنصر الذي تتكون النار بسببه على زعم [illegible] بين المتأخرين قلنا [illegible] الكلام [illegible] هذا الاتحاد

موجبا للاحراق دون جميع الانحادات التي تحصل بين العناصر والاجسام الكيماوية كما يعلم من فن الكيمياء وان قيل أن موجب الاحراق هو الحركة المخصوصة للاجزاء الفردة الجسم مع الاجزاء الفردة الاكسجين أحد جزئي الهواء كما يقوله أيضا المتأخرون من الكيماويين قلنا نطلب التوضيح الشافي لم كانت هذه الحركة موجبة للاحراق دون جميع الحركات التي تحصل بين أجزاء الاجسام المتحدة على قول أولئك الكيماويين ولم لم تكن حركة أجزاء الجسم الذي تنشا عنه البرودة المفرطة حتى يجمد بها الماء موجبة للاحراق ولم خصت الحركة الاولى بالحرارة والاحراق والحركة الثانية بالبرودة والتجميد فبهذا يظهر أن الخصم لا يسعه الا أن يقول لا أدري الا أن كلا قد خص بما ينشأ عنه ولا بد من مخصص فنقول له نحن نسلم ذلك المخصص هو الله تعالى الذي خص ما شاء بما شاء فاحراق النار ليس الا بخلقه وايجاده وليس في النار شيء يقتضي أن تؤثر بالاحراق ولا بسواه بل هي مسخرة تحت تصرفه سبحانه وتعالى ان شاء انشأ منها الاحراق [illegible] وان شاء انشأ منها البرودة والسلام ثم قد جرت عادته سبحانه في [illegible] بخلقه وإيجاده فاذا أراد خرق العادة بعدم [illegible] لا حجر عليه وقد اشار سبحانه الى خرق [illegible] السلام [illegible] علينا في [illegible] كوني بردا وسلاما على ابراهيم)

وهذا كناية عن أنه تعالى لم يخلق فيها الحرارة والاحراق بل خلق ضد الحرارة فيها وهو البرودة وجعلها سلاما وأما نالا برودة مهلكة فنحن معشر المؤمنين لما أخبرنا الصادق المصدوق بهذا المعجزة آمنا وصدقنا بحصولها ولا مانع يمنع من تصديقها وهي من جملة الجائزات الداخلة تحت تصرف خالق الارض والسموات

ومن المعجزات التي ذكرت في القرآن الشريف ما جرى على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام من شفاء الابرص والأكمه واحياء الموتى باذن الله تعالى فمن كان مؤمنا بالله العالم سبحانه وتصور عجائب أعماله من تحويل التراب الى حيوانات متنوعة فلا يمتنع من تجويز احياء الموتى بقدرته تعالى وشفاء المرضى وابراء الاكمه معجزة لسيدنا عيسى عليه السلام فان هذه المذكورات من الجائزات العقلية وهي في نظر العقل أسهل من خلق الحيوان من التراب وابرازه سميعا بصيرا وان كان كلا الامرين لدى قدرة الله تعالى على حد سواء اذ لا يقال في حقه تعالى ان الشيء الفلاني سهل والشيء الفلاني أسهل عليه بل الجميع تحت تصرفه بالسوية والوسائط التي جعلت أسبابا في حدوث مثل هذه المذكورات هي الاعادية وكذلك الزمان الذي جعل ظرفا لحصولها والله تعالى قادر على خرق العادة وايجاد هذه الأمور بدون [illegible] الاسباب [illegible] الزمان كله [illegible] فنحن [illegible]
فإذا أخبرنا [illegible] المعجزات [illegible] على يد نبي من أنبيائه [illegible]

والسلام فآمنا بها وصدقنا

ومن المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم وجرت على يد سيدنا عيسى عليه السلام أيضاً تصويره من الطين بهيئة الطير ونفخه فيه فيصير طيراً باذن الله تعالى فادمنا نعتقد ان الله تعالى هو الذي خلق جميع هذه الحيوانات الموجودة في الدنيا على تنوع انواعها من التراب وان الاسباب التي وضعها للتكونها والزمن الذي جعله ظرفاً لتصورها كل ذلك امر عادي والله تعالى قادر على ايجاد ذلك بدون تلك الاسباب وتلك الزمان فلا مانع يمنعنا من التجويز بوقوع تلك المعجزة الخارقة على يد سيدنا عيسى عليه السلام بخلق الله تعالى كما قال سيدنا عيسى عليه السلام اذن الله [illegible] اخبرنا بذلك الصادق المصدوق فقد آمنا وصدقنا بحصوله معجزة [illegible] دعوى ذلك الرسول الكريم

ومن المعجزات التي اخبر بها القرآن الشريف وجرت على يد سيدنا عيسى عليه السلام نزول مائدة من السماء اكل منها اصحابه الحواريون رضي الله [illegible] وذلك امر جائز فلا مانع يمنع العقل من التصديق بنزول [illegible] من السماء كما تنزل الامطار وبعض اجسام اخرى تخبر [illegible] قدرة الله تعالى على خلق الاجسام [illegible] خلق [illegible] من السماء [illegible] واه ونحن آمنا

بوقوعها الاخبار الصادق بها

ومن المعجزات المذكورة في القرآن الكريم تسخير الشياطين والريح لسليمان والانة الحديد لداود عليهما الصلاة والسلام فكل ذلك من الجائزات العقلية التي لا يحكم العقل باستحالتها داخلة تحت تصرف الاله القادر فالشياطين من جملة عبيد الله تعالى قابلون للتسخير مقهورون تحت امر خالقهم سبحانه والريح انما تسييرها وتصريفها في الاكوان بقدرته عز وجل والحديد معدن قابل للالانة وان جرت عادة الله تعالى في الانة بسبب الحرارة ولكن ذلك سبب عادي والله قادر على الانته بدون ذلك السبب فلا مانع من ايجاد الله تعالى لهذه الخوارق على يد هذين الرسولين الكريمين معجزة لهما وتأييدا لدعواهما الرسالة ونحن معشر أهل الايمان المصدقين بقدرة الله تعالى المطيعين الشارع نجوز هذه الحادثات ونصدق القرآن المجيد قد آمنا وصدقنا بحصولها بدون شك ولا ريب وهي بالنسبة لكمال الله تعالى المشتملة على اعجب العجائب واغرب الامور لا يستبعدها العقل [illegible] لله الهادي الى سواء السبيل

وثبتت معجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام سنذكر بعضها [illegible] في الفصل الآتي [illegible] بينها وبين معجزات سيدنا [illegible]

[illegible] الصلاة والسلام

(الفصل الثالث)

(في بيان معجزات نبينا سيدنا (محمد) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان بعض الطرق التي كانت برهانا على صدق دعواه)

من اعظم المعجزات التي جاء بها سيدنا (محمد) عليه الصلاة والسلام القرآن الشريف فهو المعجزة الباقية الى انقضاء الدنيا بخلاف بقية المعجزات فان كلا منها قد انقضى بحينه ولشرح هذه المعجزة العظيمة والخارقة الجسيمة على وجه يفهمه الخاص والعام ولا يعز فهمه على ذوي الافهام فاعلم ان من حكمة الله تعالى البالغة انه تعالى يؤيد رسله بمعجزات من قبيل ما انتشر وبرع فيه القوم المرسل اليهم حتى تنقطع حججهم عن ان يقولوا انا نجهل جنس ما جئت به [illegible] يقال ان [illegible] نعلمه نحن ولا يكون في الحقيقة لا مراء فيه ولا مثيل عنده [illegible] سيدنا موسى عليه السلام كان [illegible] فيهم قوم [illegible] وهم [illegible] بعض [illegible] مكر البشر ومعرفته وصنعه منه بما لا يكون [illegible] السحرة منهم [illegible] الحبال والعصي [illegible] وصارت ترى حيات تسعى [illegible] سيدنا موسى عليه السلام عصاه باذن الله تعالى [illegible] تعطي ما قلبت تلك الحبال [illegible]

بيده عادت عصا كما كانت فخر السحرة ساجدين لله تعالى وآمنوا برسالة
موسى وصبروا على تعذيب فرعون لهم بقتلهم بالاعدام في جذوع النخل
وما ذلك الا انهم لمعرفتهم فن السحر وعلمهم بمقدار ما يدخل منه في طوق
البشر وما لا يدخل ايقنوا ان تلك الخارقة وهي انقلاب العصا ثعبانا كبيرا
ابتلع الكثير من الحبال والعصي المسحورة على صورة الحيات ثم عاد عصا
كما كان وتلك الحبال والعصي عدمت وتلاشت من الوجود ما هي من نوع
السحر وليس في طوق البشر الوصول الى هذه الدرجة منه فآمنوا بانها
من خوارق العادات التي لا يقدر عليها الا رب الارض والسموات
اوجدها معجزة لموسى مؤيدة لدعواه الرسالة ومن لم يكن من اهل المعرفة
في فن السحر يمكنه الاستدلال على صدق سيدنا موسى عليه السلام بسبب
تصديق اولئك السحرة بان يقول ان هؤلاء السحرة لا شك انهم متمسكون
بدين آبائهم واجدادهم ومتعززون بسلطنة فرعون ويخافون من مخالفته
الهلاك ثم لهم الدراية في فن السحر بمقدار ما يدخل في طوق البشر منه
وما لا يدخل فلولا انهم علموا يقينا ان تلك الخارقة التي ظهرت على يد
موسى ليست من نوع السحر ولا يدخل في طوق البشر الوصول اليها لما آمنوا
بموسى ولما تركوا دينهم ودين آبائهم وما هددوا بعزة فرعون ورضوا بالتعذيب
والصلب في جذوع النخل وقالوا لفرعون (فاقض ما انت قاض انما تقضي
هذه الحياة الدنيا) فما جرى لموسى مع السحرة اعظم دليل على صدقه بدعوى

الرسالة وان تلك الخارقة اظهرها الله تعالى على يده معجزة شاهدة بصدقه
واما من لم يرد الله تعالى فيه خيرا كما وقع لفرعون فانه ضل عن هذا الاستدلال
واتبع طريق الشبهة فقال للسحرة يعنى موسى (كبيركم الذى علمكم
السحر) هي شبهة باطلة اذ لا يخفى ان موسى من بنى اسرائيل الذين
كانوا مستعبدين للاقباط قوم السحرة اصحاب السلطة والملك فلا داعى
يدعو اولئك السحرة الى مخالفة فرعون باتباع موسى ولو فرض انه هو الذى
علمهم السحر كما قال فرعون لا يصدق العقل انهم يقدمون على ذلك لمجرد
تعلمهم منه ويقبلون الذلة بعد العز والقتل والصلب عوض الحياة وهم
عقلاء يميزون الخير من الشر فلولا اعتقادهم الجازم بان تلك المعجزة ليست
من نوع السحر وهي دالة على صدق موسى في دعوى الرسالة وانهم وان فارقوا
عز الدنيا وعدموا حياتها الفانية فسيعوضون عز الآخرة وحياتها الابدية
لما اقدموا ذلك الاقدام وقبلوا ما [illegible] فشبهة فرعون اضعف من بيت
العنكبوت وقد جاء بها اما مكابرة وعنادا واما جهلا وشقاء وكذلك لما بعث
[illegible] سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كان فن الطب شائعا في بنى
[illegible] فكان من حكمته تعالى ان جعل الكثير من معجزاته عليه السلام
[illegible] الابرص والاكمه واحيا الموتى
[illegible] تصديق رسالته على امر [illegible]
[illegible] الطب [illegible] الاس[illegible]

ان يبلغه فيه من الاعمال وما لا يمكنه فلا يدخل في طاقة الاطباء الحذاق ان يشفوا الابرص لكنه بمعالجة مخصوصة مع مرور زمان مخصوص واما شفاؤه في الحال بمجرد لمسه او الدعاء له فهذا ليس في طوقهم و يمكنهم ان يشفوا مرض الاعين الذي يكون عرضيا ليس مخلا بجوهر البصر واما شفاء الاكمه عديم البصر فهذا ليس في طوقهم واحياء الموتى ايضا ليس في طوقهم البتة وحيث ان عيسى قد اتى بهذه الخوارق التي ليست داخلة في طوق البشر كما يظهر لما من الاطلاع على فن الطب فيكون ذلك دليلا على صدق دعواه الرسالة اذ ان تلك الخوارق ليست الا بايجاد الله تعالى القادر على كل شيء اجراها على يد عيسى معجزة له مؤيدة دعواه واما غير اهل المعرفة في فن الطب فلهم ان يستدلوا على صدق عيسى بتصديق هؤلاء الاطباء نظير ما استدل من آمن بموسى ولم يكن من اهل المعرفة في فن السحر لما شاهدوا ايمان السحرة به اذا علمت جميع ما قررناه فاعلم انه قد نقل الينا بالتواتر المفيد لليقين اي نقل لنا الجماهير الكثيرة الذين لا يحصى عددهم ويحيل العقل تواطؤهم على الكذب كحالته مثلا تواطوا الناس جميعا على الاخبار بوجود مكة والحال انها غير موجودة عن الجماهير الكثيرة كذلك وهلم جرا عن الجماهير الكثيرة كذلك الذين شاهدوا سيدنا (محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب ورأوه راي العين واحاطوا احواله وما جرى له في مدة حياته مع الامم حتى تم له تصديق الالوف من اتباعه بكل ما جاء به

أنه بعد ما مضى له من العمر أربعون سنة بين قومه وقد عرفوه بالصدق والامانة حتى دعوه (محمداً) الامين ولم يجر له في تلك المدة تعلم القراءة والكتابة ولم يجتمع مع أهل هاتين الصنعتين اجتماعاً يمكنه معه أن يتعلمهما منهم و يؤهله ذلك لاكتساب جملة معارف الامم وشرائع الاقدمين وقوانين الممالك ولم يعثر عليه في تلك المدة انه كان يعاني شيئاً من ذلك وكذلك لم يجر له في تلك المدة ممارسة صناعة الفصاحة والبلاغة فلم تكن له عناية بالاشعار والخطب والرسائل العربية لا قولا ولا رواية ولم يكن مولعاً بمحاورة الفصحاء ومغالبة البلغاء من كل ما يقوي فيه ملكة تلك الصنعتين الشريفتين و يؤهله الى بلوغ الدرجة القصوى فيهما قام بين جماهير العالم من عرب وعجم مع قلة ذات يده وفقد الناصر والمعين ليس في آبائه سبق سلطنة قد زالت فيظن به انه يريد استردادها بالتحيل على الرياسة فادعى ان الله تعالى قد ارسله الى الناس كافة ليبلغهم ما شرعه لهم مما فيه نجاحهم في الدنيا والآخرة وان هذا الشرع يناسب زمانه الذي ارسل فيه الى انقضاء مدة الدنيا وهو ناسخ لكثير من احكام شرائع الرسل الذين [illegible] زمان المتقدمي الذي كانت الاحكام المنسوخة [illegible] قبيحة مضرة بصالحهم [illegible] الاوثان والنيران [illegible] بتوحيد الله تعالى

واعتقاد اتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان وافراده تعالى
بالعبادة وأداء شكره على نعمه التي أنعمها عليهم و بالحقيقة ذلك الشكر
عائد بالمنافع اليهم كخضوعهم له في الصلوات الناشىء عنه تهذيب نفوسهم
وو صلتهم مع خالقهم و كنز بادتهم الامكنة التي وعدهم عندها غفران
السيئات الى غير ذلك من كل ما يجلب لهم الخير و يدفع عنهم الضير فعند
ما سمع منه أولئك الجماهير هذه الدعوى العظيمة نفروا من قبول دعواه
وعادوه أشد المعادة وهجر منهم الاهل والخلان وكذبه الشيوخ والشبان
وتحول له الاوداء أعداء والموافقون أخصاما الداء ثم أخذوا في مجادلته
ومخاصمته وجرهم منهج المجادلة الى طلب الحجة وصار كل منهم يطلب منه
برهانا على صدق دعواه وتحمل له التعجيز في كل ما يهواه وهو صلى الله
تعالى عليه وسلم ينصب لهم الدلائل ويجيب منهم كل سائل ومن اعظم الحجج
التي استند في اثبات دعواه اليها وجعل معظم اعتماده عليها ما تلاه عليهم من
مجموع كلام عربي يسميه قرآنا و يقول انه من عند الله تعالى أرسله به
اليهم وهو مشتمل على التصريح بانه رسول الله تعالى الى الناس كافة وانه
صادق في كل ما يبلغه عنه تعالى وهو متكفل ببيان الشرع الذي شرعه الله
تعالى لهم وانه يتحداهم بالقصر جملة منه هي سورة بمعنى أنه يستدل على
كونه من عند الله تعالى معجز فصحاء أهل اللسان العربي ولهذا عن الاتيان
بما يساوي أقصر سورة منه في فصاحتها و بلاغتها ولو كان في الامية العربية

أمراء الفصاحة والبلاغة المرايتين الرائج في ذلك الزمان سوقهما بين أهل
تلك الأمة وكانتا أعظم علومهم وأكرم مفاخرهم وهم أكثر الناس شاعرا
وخطيبا وفيهم العالمون بأساليبهما الحاملون أعلامهما والمحيطون بأسرارهما
وبلغوا فوق طوق البشر من مراتبهما وما ليس في طوقهم ولم يزل صلى الله
تعالى عليه وسلم يصفهم بالضعف والقصور عن معارضة أقصر سورة من
ذلك القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا منوها بذلك في كل محفل مشهرا
له في كل جحفل ومع ذلك يسفه أحلامهم في عاداتهم وعباداتهم ويطعن في
معبوداتهم التي عبدوها ضلالا تهم فأخذ علماء الفصاحة والبلاغة منهم
وأمراؤهما منهم يتأملون في ذلك القرآن ويسبرونه بمسبار التبيان
ويتدبرونه تدبر الناقد البصير عسى أن يتبين لهم طريق لمعارضته وإبطال
حجته فلا وربك ما وجدوا ولن يوجدوا إلى الآن وبعد الآن إلى انقضاء
الزمان مع وجود الداعي وكثرة الأعداء الألداء فقول هذا كل
من الأشهاد القرآن ينطق في عدة آيات وهو يتلى في كل ناد أكان

[illegible]

تعالى عليه وسلم بالرسالة من الله وتركوا عاداتهم القبيحة وعباداتهم الباطلة
واعتنقوا ما شرعه الله تعالى لهم واجتباه ثم ان كثيرا ممن لم يكونوا من اهل
الفصاحة والبلاغة من الامة العربية او من سواهم من الاعاجم وجد لهم من
الاستدلال بمعجزة القرآن على صدق سيدنا ﴿محمد﴾ صلى الله تعالى عليه
وسلم في دعوى الرسالة ما يقنع افكارهم ويحملهم على اعتناق دينه الشريف
وذلك بان يقولوا ان ﴿محمدا﴾ عليه الصلاة والسلام قد قام بدعوى
الرسالة فريدا وحيدا محاربا لجميع العالم في عاداتهم وعباداتهم لا ناصر له ولا
معين وقد ادعى عجز فصحاء العرب وبلغائهم المشهود لهم بكمال الفصاحة
والبلاغة عن معارضة اقصر سورة من قرآنه الذي جاء به وهؤلاء مع تمسكهم
بعاداتهم وعباداتهم الموروثة عن آبائهم والمألوفة من لدن نعومة اظفارهم
ومع تعصبهم لعشيرتهم وفي جاهليتهم وليس لدى ﴿محمد﴾ من حطام
الدنيا ما يبعث على رغبتهم في اتباعه ولا هو صاحب عصبية وقوة تحميه من
بطشهم لانه في اول دعواه عاداه الاهل والارحام الى جميع الانام فقد اقر
وا ان الفصحاء البلغاء بعجزهم عن معارضة أقصر سورة من قرآنه وان
رجعوا الى [illegible] التي تحتوي عليها [illegible] الطاقة البشرية وصدقوا
بدعواه الرسالة من عند الله تعالى دليلا انه قد تحقق لديهم على ما عندهم
من كمال التفوق في الفصاحة والبلاغة انهم عاجزون عن معارضة
شيء من ذلك [illegible] الاتيان به خارقا للبشر وخارجا عن ا

من عند الله تعالى لما آمنوا ﴿ بمحمد ﴾ وتركوا عاداتهم وعباداتهم الموروثة المألوفة ولا رغبة هناك لهم في حطام ولا خوف من انتقام ولا يخفى ان اصعب شيء على العاقل مفارقة دينه الذي يرجو به النجاة في الدنيا والآخرة واصعب شيء بعد ذلك عليه مفارقة عوائده التي ألفها وتلقاها عن اسلافه حتى ان البعض وان استشعر رداءة عوائده يصعب عليه مفارقتها وتحكم عليه نفسه بملازمتها فالعاقل لا يفارق دينه الا اذا تيقن النجاة في دين سواه ولا يهجر عوائده لا سيما الموروثة المألوفة الا بسبب قوي قاهر فحال هؤلاء القوم الفصحاء البلغاء مع ﴿ محمد ﴾ وايمانهم به على هذا الوجه هو دليل لنا كاف لتصديقنا اياه فيما ادعاه من الرسالة من عند الله تعالى وليس [illegible] ان هؤلاء [illegible] بالتقليد للعرب الذين هم أهل معرفة بالفصاحة والبلاغة [illegible] طريق وامثاله [illegible] ان لم يعرفوا [illegible]

والسياسات وتدبروا أساليبه ومحتوياته ظهر لهم بالنظر الصادق ان هذا القرآن قد وجدت فيه خواص فاضلة وصفات كاملة لا يمكن في العادة اجتماعها في مجموع كلام مهما تأنق فيه واضعه واتسع اطلاعه على الماضي والحاضر والمستقبل واحوال الامم في شؤنها اجمع والاحاطة في جميع الفنون والآداب والحكم والسياسات وتحري فيه عدم المناقضة والتضارب وحسن الاسلوب مع الانفراد عن الاساليب المعهودة عند العرب الا ان يكون القائل وهو الله تعالى القادر على ذلك كله وعلى جمعه في كلام يريد جمعه فيه وذلك انهم يجدون هذا القرآن يخبر عن غيوب مستقبلة يأتي طبق اخباره كوعده اتباع (محمد) عليه السلام بدخول مكة آمنين فجاء الامر كذلك ويخبر عن قصص الاولين وسير المتقدمين كما هي حكاية من شاهدها وحضرها او يخبر عن الصفات من غير ان يظهر ذلك من اصحابها بقول او فعل كما علم من حوادث حدثت لبعض اتباع (محمد) عليه السلام ولبعض اعداء الله كما جاء في التفاسير وكتب الاحاديث وهو مع اتساع مجاله في كل فن من اخبار واحكام ومواعظ وامثال واخلاق وآداب وترغيب وترهيب ومدح الاخيار وذم الفجار وتحذير من قبائح وسداد وبدائع المثال و[illegible] سياسات وهو [illegible] لا [illegible] ومداواة [illegible] ويجمع [illegible] الباري تعالى [illegible] شبهة وازالة [illegible]

النعيم واحوال ساكنيها ودار الجحيم واهوالها ووصف عالم السموات وما
في العالم العلوي من الآيات من كواكب وأمطار وسحائب وبروق ورعود
وعجائب ووصف الارض وجبالها وسهولها وبحارها وينابيعها وانهارها
وما اشتملت عليه من نباتات وحيوانات ومعادن وازهار واثمار واشجار
واطيار وظلمات وانوار حتى يصح ان يقال انه لم يبق علما من علوم الاوائل
والاواخر الا صرح به او أشار اليه على اساليب متنوعة وطرائق مبتدعة
لم يقع فيه تناقض ولم يتخلله تضارب خاليا عن جميع العيوب خارجا بحسن
نظمه عن مشابهة كل اسلوب ليس له مثال يحتذى عليه ولا امام يقتدي به
فلا هو من نوع القصائد العربية ولا من الخطب البدوية ومع ذلك فهو في
العقول مستحسن وفي النفوس مستملح وفي الاذواق مستعذب وفي
القلوب محبوب وللاسماع مألوف كلما تكرر حلا ومن اي الافواه
سمع علا وغلا ولا يصح في العقل السليم ان تجتمع كل تلك الصفات فيه اتفاقا
ولا يصدق بالصدفة في ذلك الفكر الصحيح فمن الواجب في حق هؤلاء
اذا منصفين فيه ومتدبرين فيما يحويه اللائق بانصافهم بعد ذلك ان يقولوا
ان الذي ظهر لنا وتحققناه من اجتماع تلك الصفات في هذا الكلام البديع
انه كلام تعجز عنه قوى البشر ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فاتيانه
[illegible] به وهو امي بين الجهال محال عادة ان ياتي به اكابر العلماء
والمحققين من الفلاسفة واعاظم الاقدمين واكابر السياسيين دليل واضح على

انه من عند الله تعالى أرسل به (محمدا) ليكون معجزة له تدل على تصديقه اياه فى دعوى الرسالة واعلم ان هذا الطريق فى الاستدلال على كون القرآن معجزة ايد الله تعالى بها سيدنا (محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم قد هدى الله تعالى به كثيرا من اتباعه عليه الصلاة والسلام كما هدى بالطريق الاول وهو احتواء القرآن على الفصاحة والبلاغة اللتين عجز فصحاء العرب وبلغاؤهم بسببهما عن معارضة أقصر سورة منه ولم يزل كل من هذين الطريقين سهل السلوك على اهل المعرفة بفن الفصاحة والبلاغة وعلى أصحاب المعرفة بفضائل الكلام الى الآن وبعد الآن الى انقضاء الليالى والايام ومن لم يكن من اهل هاتين الفضيلتين فله الاستدلال بخضوع اهلهما وتسليمهم بتلك المعجزة الخارقة للعادة حتى فارقوا دين آبائهم وعوائدهم واتبعوا سيدنا (محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم فى دينه وهداه كما تقدم شرح ذلك قريبا وبذلك ظهر أن معجزة القرآن التى اعطيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هى معجزة باقية الى آخر الزمان وبقية المعجزات وان يكن قد انتفع بها من شاهدها ممن كان فى عصر الرسل عليهم الصلاة والسلام وانتفع بها من نقلت اليهم بالنقل الصحيح كاهل الاعصر التى بعد الرسل لكنها لم تبق مشاهدة الى الآن وبعد الان فلمعجزة القرآن هذه الخاصة من بقاء مشاهدتها على كرور الزمان وهذا من جملة ما أكرم الله تعالى به سيدنا (محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم وخصه به عن سائر

الرسل الكرام لكن الهداية بيد الله تعالى يهدى من يشاء الى الصراط المستقيم ومن معجزات سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم التى ذكرت فى القرآن الشريف والحديث المنيف انشقاق القمر فرقتين بطلبه عليه السلام من ربه حينما طلب منه المشركون ذلك فرأى انشقاقه الكثير من اهل مكة اسلاما ومشركين وورد الى مكة جماعات من المسافرين الذين كانوا بعيدين عنها ولكن أفق اماكنهم مساو لافقها فاخبروا انهم رأوا انشقاق القمر فى تلك الليلة وعدم رؤية اهل الارض جميعا لتلك الحادثة لا ينافى وقوعها لان القمر بسبب اختلاف الافق التى يراه [illegible] اهل الارض لا يظهر على الناس جميعا فى [illegible] لكل وقت يظهر لاهل افق ويخفى عن غيرهم كما يعلم من فن الهيئة وهذه المعجزة [illegible] سمع بها [illegible] مؤمن [illegible] ان انشقاق القمر من الخارقات العقلية لا [illegible] عن التصديق [illegible] قابلة [illegible] جوازه ان القمر [illegible] هو الا [illegible] من [illegible] الاجسام [illegible] قسم

[illegible] وديان [illegible] تكن [illegible] الازلية [illegible] الاعادية والله [illegible]

سبحانه وتعالى والقادر على التصرف بهذه الاجسام الارضية تلك التصرفات وهو قادر على التصرف فى القمر بالانشقاق ونحوه اذ لا فرق بينه وبينها فى الجسمية وقبول الانشقاق والالتحام الا ان القمر اكبر منها والكبر والصغر لا دخل له فى قبول ذلك وعدم قبوله فى جانب قدرة الله تعالى ثم ان الروايات الصحيحة التى نقل لنا فيها تلك المعجزة تفيد ان القمر شق فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه والمراد بذلك انه صار يرأى للرائى أن فرقة منه فوق الجبل أى فى افقه لا بمعنى انها ارتكزت على قمة الجبل وفرقة دونه اى فى مقابلته لا بمعنى انها تحت الجبل وهكذا يقول الواحد منا قد رأيت القمر فوق الجبل وخلفه وفوق البحر والحال ان القمر ليس كذلك وانما مراده التعبير عن كيفية الرؤية له فلا يقال ان القمر جرم كبير جدا دون ارضنا بمراحل على ما يقوله علماء الهيئة فلا يمكن ان فرقة منه توضع على قمة جبل صغير من جبال الارض ويسعها ذلك الجبل وفرقة منه تكون تحت الجبل [illegible] لانه ليس مرادا كما علمت وانما نصت الرواية على كيفية هذه الرؤية [illegible] فصار الفرقتين من القمر قد تباعدتا عن بعضهما حتى [illegible] فيقولون ان [illegible] الذى [illegible] ان القادر على شق القمر [illegible] [illegible]

منه نزلت لجنبه وخرجت من كمه عليه السلام فهذه الرواية غريبة لا يجب علينا الايمان بها لعدم قوة سندها فلا حاجة لنا فى تأويلها وتطبيقها على قانون العقل ومع هذا فيمكن تطبيقها بأن تلك القطعة كانت صغيرة قابلة للنزول والخروج من كمه اذ لا صراحة فى تلك الرواية بانها كانت نصف القمر وهذا لا استحالة فيه وقدرة الله تعالى صالحة لذلك ونحن معشر المسلمين لما نقل لنا انشقاق القمر معجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام بالنقل الصحيح وهو من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى آمنا وصدقنا بوقوع ذلك بلا ريب

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوف الشمس مدة من الوقت وردها بعد المغيب وقد روى هذا فى بعض الاحاديث وروى ايضا ان الشمس وقفت عن المغيب ليوشع بن نون عندما كان مع بنى اسرائيل ويقابل الجبارين وذلك معجزة له ايضا والاحاديث فى وقوف الشمس وردها وان كانت آحادية بمعنى ان نقلها لم يكن متواترا قطعى الثبوت بحيث يكفر منكره لكن الايمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم فى دينهم فنحن نؤمن ونصدق بوقوف الشمس وردها بعد المغيب وان كان فى نفسه امرا عظيما جدا ولكنه من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى ولا يعد عظيما بالنسبة لعظيم قدرته سبحانه وتوضيح ذلك انه سواء اعتبرنا ان الشمس هى التى تسير او ان الارض هى التى تدور على

محورها وتمر باوجهها على الشمس كما تقول به الهيئة الجديدة فكلا الامرين
لم يكن الا بقدرة الله تعالى فهو الذي يسير الشمس أو يدير الارض مقهورة
بقدرته وسلطانه والذي يكون قادرا على تحريك كل من هذين الجسمين
السلط من هو قادر على ايقافهما ساعة من النهار أو على عكس حركتهما مدة
من الوقت ثم اعادة الحركة كما كانت ولا يلزم على ذلك محال وان قيل على
فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الارض هي التي تدور لو وقفت
الارض عن حركتها او انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر آخذ
بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويغرق أهلها قلنا ان القادر
على ايقاف الارض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار
من ماء البحر وجعله تابعا للارض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض
حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة
الباري تعالى ان يوقف ذلك الجسم الكبير المبني حركته على ناموس عظيم
في الكون وهو ناموس الجاذبية كما تقول أهل الهيئة الجديدة لاجل
غرض واحد من البشر وهو [illegible] أو يوشع [illegible] لا نقول
لم يكن ذلك لصنع منا [illegible]
لحكمة بالغة هي اظهار [illegible]
من الخلق ويرجعون [illegible]
محيي الحياة الابدية [illegible]

ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من أراد الله تعالى ويتصور بها عظمة قدرته تعالى وعجيب اعماله فهذه الحكمة العظيمة توازى فى العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها ويليق بها ان يحصل تلك الخارقة لاجلها على ان ذلك المجد نظرا الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيء يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر عند البارى تعالى على حد سواء فى ان كلا منهما تحت تصرفه ومشيئته ولا يعظم شيء منهما لدى عظمته وان كان فى نظرنا [illegible] نجد الفرق بينهما عظيما وهما عند الله سيان فى الجواز والامكان [illegible] فى بعض الروايات [illegible] فقابلك المعجزة ما يفيد ان الرسول [illegible] وقوف الشمس او عودتها فلا يقال على فرض تسليم رأى [illegible] ان الارض [illegible] كان الصواب فى حق ذلك الرسول ان يطلب وقوف الارض وعكس حركتها عوضا عن طلب ذلك فى الشمس [illegible] تمام ذلك [illegible] يكون الرسول يعلم حقيقة الامر [illegible] طلب ذلك فى الشمس [illegible] ظاهر والجارى فى رأى الشعب [illegible] بينهم [illegible] والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطا من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يجرون فى [illegible] على [illegible] ولا نقل لعلمهم ويجرى فى استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الارض

ولم نسمعهم يقولون طلعت الارض اوغربت او وصلت الارض لمقابلة نور الشمس او فارقته وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة اذا علمت ما قررناه واندفعت عنك تلك الشبهة بما حررناه فاعلم يا معشر السامعين قد آمنا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله تعالى قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسله الكرام يهدي ويثبت بها الالوف من الانام

ومن معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام التي نقلت الينا في الاحاديث الشريفة نبع الماء من بين اصابعه فاستقى منه العدد الكثير وتكثير الطعام القليل حتى شبع منه الجم الغفير فمن يعتقد بوجود الاله سبحانه وقدرته على خلق الاجسام وابرازها من العدم وقلبها من صورة الى صورة فلا مانع يمنعه من تصديق هاتين المعجزتين وتوضيح ذلك انه لا مانع ان الله تعالى عند طلب الناس من رسوله الماء خلق سبحانه الماء او قلب الهواء ماء وصار يبرزه للحاضرين من بين اصابع رسوله عليه الصلاة والسلام حتى اكتفى المستقون بالماء وقلب الهواء ماء هو داخل تحت قدرة الكيماويين في كسبهم وقد ورد تقريرا في الحوادث العلمية انهم اكتشفوا قلب الهواء الى الماء بتحليل الهواء وهذا من الكيمياء وكذلك لا مانع ان يخلق الله تعالى طعاما من جنس الطعام القليل الذي كان في حضرة الرسول ويصيره بيد الحاضرين لان الطعام القليل

قد كثر وشبع الكثير منه حيث كان جميع ذلك من الجائزات العقلية وقدرة الله تعالى صالحة لابرازه وقد نقل لنا وقوعه معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد آمنا وصدقنا به معشر المسلمين

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام شفاء الامراض العضالة على يديه بمجرد لمسه لاصحابها أو دعائه لهم ورد عين أحد أصحابه بعدما قلعت فعادت أحسن ما كانت واحياء الميت بمجرد دعائه وهذه الخوارق قد نقلت لنا بالاحاديث الشريفة فآمنا بها وصدقنا لانها جائزة وداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وهو الذي يوجدها على يد رسوله معجزة له وتوضيح ذلك أن شفاء الامراض وان كانت عادة الله تعالى فيه جرت أن يكون بأسباب وفي زمن ممتد لكن ذلك أمر عادي والله قادر على ابرازه بدون ذلك خرقا للعادة كما هو [illegible] وارجاع العين بعد قلعها [illegible] خرق العادة [illegible] وهو من الجائزات العقلية ولا يحكم العقل باستحالته [illegible] كثير من الاطباء يعيدون بعض جزء الجسم الحيواني بعد [illegible] العمليات الجراحية ورد العين وان لم يكن داخلا [illegible] داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى [illegible] واحياء الميت فهو من الجائزات العقلية [illegible] خرق العادة [illegible] قادر على جعل الجماد حيوانا واعطائه الحس والحركة [illegible] قادر على [illegible] الجسم الحيواني بعد أن تفارقه الحياة فمن [illegible] الله تعالى وعجائب أعماله

لا يمتنع من تصديق وقوع هذه الخارقة مادامت تنسب لفعله تعالى

ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم نطق الطفل الرضيع والحيوان الاعجم والشجر والحجر وشهادتها له بالرسالة وقد نقل لنا هذا فى الاحاديث الشريفة وورد فى القرآن المجيد نظيره وهو كلام الهدهد والنملة لسيدنا سليمان عليه السلام وهذه الخوارق هى من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وبيان ذلك ان كل شىء فى هذا الكون من اجسام وأعراض كالاصوات وغيرها هو بخلق الله تعالى فكلام الانسان الكبير هو لاشك بخلق الله تعالى ونفس طبيعته الحيوانية لا تستلزم صفة الكلام ذلا فرق بينهما وبين طبيعة الحيوانات العجم فى الحيوانية بل لا فرق بينهما وبين الجمادات فى أصل الجسمية كما نصورته لا تستلزم صفة الكلام أيضا اذ قد يوجد من أنواع القرود مايشابه الانسان فى الصورة تمام المشابهة الا فى اكتساء جلده بالشعر وهذا لا يكون فارقا موجبا لتخصيص الكلام لانسان الكبير ومع ذلك فلا يتكلم ذلك القرد فلا دليل على وجوب انحصار صفة الكلام بالانسان بل قد وجد بعض الحيوانات البعيدة المشابهة عنه قابلة لتعلم الكلام وذلك كالطير المسمى بالببغاء وفيما قررناه قد ظهر أن نوال الانسان لصفة الكلام ماهو الا بتشريف الله تعالى له بها وان قيل يمكن أن يكون فى الانسان الكبير شىء خفى علينا ولم يوجد فى غيره هو الموجب له صفة الكلام ولعله الذى يسمى بالقوة الناطقة

ويعد فصلا للانسان أو تكوين خاص في مخه كما يقول المتاخرون قلنا
حصر الموجب للكلام في هذين غير مسلم على ان الثابت عندنا ان مثل
هذا الموجب سبب عادي والله قادر على خلق الكلام بغير واسطه
فالقادر على خلق صفة الكلام فيه قادر على خلقها في غيره من الطفل
الرضيع والحيوان الاعجم والجماد وان كان هذا خلاف العادة فالله تعالى
يخرق بالعادة معجزة لرسوله فيخلق تلك الالفاظ التي وجدت من ذلك
الشيء الذي لم نعهد يتكلم ويصدرها عنه ويسمعها الحاضرون فنحن
معشر المسلمين قد آمنا بهذه المعجزات لانها من الجائزات الداخلة تحت
قدرة رب الارض والسموات

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام التي وردت الاشارة اليها في القرآن
المجيد وبينها الحديث الشريف رميه صلى الله تعالى عليه وسلم وجوه الكفار
يوم الحرب بكف من تراب فأصاب عين كل واحد منهم شيء من ذلك التراب
وانهزموا وهذه الخارقة من الخارقات الممكنة اذ لا مانع من وصول شيء من
ذلك التراب الى كل واحد منهم ولكن ليس في قدرة احد من الناس ان يوصله
هكذا الا [illegible] ولكنا في قدرة الله تعالى
[illegible] على [illegible] رسوله عليه السلام [illegible] بهذه
الخارقة في [illegible] في القرآن الشريف
[illegible] (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) يعني

ومارميت حقيقة وأوصلت التراب الى كل عين من أعين الكفار حين
رميت ظاهر الان ذلك ليس في قدرتك ولكن الله هو الذى رمى حقيقة
وأوصل حبات التراب لاعين أعدائك المحاربين فنحن معشر المؤمنين نؤمن
بحصول هذه الخارقة معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ومن معجزات سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إخباره بالغيبات سواء
كانت حاضرة فى الزمان غائبة عن العيان اوكانت مستقبلة ستأتى ولو بعد
مئات من السنين وهذه المعجزة بلغت الاحاديث فى كثرة حدوثها احد
التواتر المعنوى وافراد حوادثها بحر لا ساحل له اما اخباره عليه السلام
بالمغيبات فمتى كانت حاصلة فى زمانه وغائبة عن عن عيانها فذلك كاخباره
بوفاة النجاشى وبالطعينة الحاملة الكتاب الى قريش وفى كتب الاحاديث
من ذلك شىء كثير جدا تضيق عنه الصحف فمن أراد الاطلاع على ذلك
فليرجع اليها فيرى العجب العجاب وأما اخباره بالمغيبات المستقبلة فهو شىء
كثير الحوادث منه ماوقع فى حياته ومنه ماوقع بعد وفاته بعد أزمنة قليلة
ومتطاولة ومنه ماسوف يقع ولنذكر شيئا من هذا النوع مما ورد فى
القرآن المجيد أو الاحاديث الشريفة على وجه الاختصار يظهر به الحق بلا
انكار فنقول من ذلك ما ورد فى القرآن الشريف أن أصحابه يدخلون
المسجد الحرام آمنين وكانت مكة حينئذ فى أيدى المشركين وهم محاربون
له ولاصحابه فدخلها هو وأصحابه عليه الصلاة والسلام وحقق الله تعالى له

ذلك ومن ذلك قوله فى القرآن (غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) فكان الامر كذلك فبعد أن غلبت فارس الروم غلبتهم الروم فى بضع سنين أى ما بين الثلاث سنين الى العشر كما أخبر القرآن يعلم ذلك من السير النبوية والتاريخ وفى القرآن جملة أخبار غيبية يعلم بيانها من كتب التفاسير ومن ذلك ما ورد فى الاحاديث الشريفة كما رواه الشيخان وأصحاب السنن والحفاظ الائمة كأحمد والشافعى وأبى حنيفة ومالك من أنه عليه السلام أخبر أصحابه بالظهور على اعدائهم وبفتح مكة والقدس الشريف والشام واليمن والعراق وظهور الامن فى الممالك الاسلامية حتى تصير المرأة تسافر من الحيرة الى مكة لاتخاف الا الله تعالى فكان ذلك ولله الحمد فى حياته وبعد وفاته عليه السلام وأخبرهم بما يفتح الله تعالى على أمته وما يؤتون من زهرة الدنيا وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر فكان ذلك وفتحت أمته بلاد كسرى وقيصر وقسمت خزائنها بينهم وأخبرهم انه يغدو أحدهم فى حلة ويروح فى أخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى يعنى تفيض عليهم الدنيا ويأخذون بالتنعم بعد قشف العيش الذى كانوا فيه وكان الامر كذلك وهذا وضع صحفة ورفع أخرى يتحقق فى كيفية تناول الطعام الذى يسمى فى اللغة التركية (قالدر) وأخبرهم أنهم يقاتلون الخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وكان الامر على ما اخبر وأخبر أنه زويت له

الارض فأرى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته ما زوى له منها وكذلك كان فامتد ملك امته فى المشارق والمغارب ما بين ارض الهند فى المشرق الى بحر طنجة فى المغرب ولم يمتد فى الجنوب والشمال مثل ذلك الامتداد وأخبر بالموتان الذى كان بعد فتح بيت المقدس فكان بعد ذلك الفتح طاعون عمواس وأخبر بما ينال اهل بيته رضى الله تعالى عنهم من التقتيل والتشريد وبقتل سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه فى الطف فكان ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل واخبر عن الحسن رضى الله تعالى عنه بأنه يصلح الله به بين فئتين فكان الصلح سببه بين الفئة التى معه والفئة التى مع معاوية وقال لسراقة احدا اصحابه كيف بك اذا لبست سوارى كسرى فلما اتى بهما امير عند فتح بلاد فارس ألبسهما لسراقة وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة كما نقله السيوطى فى الجامع الصغير ونقله فى جمع الجوامع عن البخارى فى التاريخ والحاكم فى المستدرك ونقل بعضهم عن الامام أحمد فى مسند حسن وصححه عن بشر الغنوى لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش وقد حقق الله تعالى فتح القسطنطينية على يد ساكن الجنان السلطان محمد الغازى المشتهر بابى الفتح فى عام ثمانمائة وسبع وخمسين من هجرة سيدنا ﴿محمد﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم وأصبحت عاصمة دار الاسلام ومقر خليفة سيد الانبياء العظام وموئل الخاص والعام وما أحسن تلك الشهادة من حضرة فخر الكائنات

عليه أفضل الصلاة والتحيات فى حق فاتح القسطنطينية حضرة مولانا
السلطان محمد الغازى بل الله ثراه برضوانه وأسكنه فراديس جنانه وفى حق
جيشه المؤيد المنصور وما أكرمها من منحة تنشرح بها الصدور وكيف
وهى من أعظم المناقب الحسان لسادتنا سلاطين آل عثمان مع ما لهم من
المفاخر التى لا تعد والمآثر التى لا يحيط بها احد بما فتح الله تعالى على أيديهم
من الممالك العظيمة والاقاليم الجسيمة وجمعهم كلمة أهل الاسلام بعد التفرق
وانقسام ممالك الاسلام الى أقسام عديدة وحكومات متباينة كل ذلك مع
محافظتهم على الشريعة المحمدية المطهرة وتأييد الملة الحنيفية المنورة
ونصرتهم مذهب أهل السنة والجماعة وحمايتهم الممالك الاسلاميه وثغورها
وتعظيمهم لحملة الشريعة المحمدية من علماء الدين وتعظيمهم ومودتهم لآل
بيت سيد المرسلين واشرف النبيين اكراما لجدهم الاعظم واستمدادا
لروحانيته صلى الله تعالى عليه وسلم وخدمتهم للحرمين المحترمين والمسجد
الاقصى وتشييدهم من الجوامع والمساجد وبيوت الاذكار وغير ذلك من الآثار
مما لا يحصى و[illegible] بالعطايا [illegible] المحتاجين وتطييب قلوب فقراء البيعة
[illegible] الهمم فى [illegible] اقامة شعائر الموحدين
ونشرهم [illegible] المعارف فى سائر الاقطار كافة النواحى والامصار الى غير ذلك
من [illegible] الكتب و[illegible] وقصرت
[illegible] فقد [illegible] شوكة مجدد مفاخرهم

ومؤيدا مآثرهم حضرة سلطاننا الاعظم وخليفة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على ممر الدهور والازمان ملحوظا بعين عناية سيد الاكوان صلى الله تعالى عليه وسلم آمين آمين وليعلم ان هذه الاحاديث الواردة فى أخباره عليه الصلاة والسلام بالامور المستقبلة قد دون كثير منها فى تاليف العلماء الائمة الاعلام قبل ان تحدث وقائعها فى الكون ثم بعد ذلك صارت تحدث واحدة بعد واحدة وتلك التاليف معلومة مشهورة معلوم تاريخ جمعها كتابتها هذا حديث فتح القسطنطينية رواه الامام أحمد الذى كان قبل فتحها بمئات وكذلك نقله السيوطى فى جمع الجوامع عن البخارى فى التاريخ والحاكم فى المستدرك وكل من البخارى والحاكم كان قبل فتحها بمئات ومعاصرو [illegible] نقل تلك الاخبار فى كتبهم أتباع رسول [illegible] الله تعالى عليه [illegible] وأصحابه [illegible] وكذلك [illegible] الرواية [illegible] لاعتمادهم [illegible] اتباع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الاخبار [illegible] [illegible] بقية [illegible] [illegible] اهل الدين المبين ومن [illegible] سيدنا [illegible] محمد [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم كان [illegible] على [illegible] كما يشهد له [illegible] فكيف يتصور عاقل ادعى [illegible] [illegible] [illegible] وتلك الاخبار [illegible] الامور [illegible] [illegible] والشمولية [illegible] تداركه لا يكون [illegible] تكذيب [illegible] نقل الرواة [illegible] ان يقام

عاقل على ذلك فليتامل المنصف ثم ليعلم بعد ذلك كله ان الاخبار بالغيب ليس فى طوق البشر من رسل او سواهم ومن ادعى علم الغيب من نفسه فقد قال العلماء انه يكفر وانما الذى يحصل للبشر من ذلك انما هو باعلام الله تعالى لهم وهو سبحانه عليم بما كان وبما يكون فلا اشكال فى ذلك فنحن معشر المسلمين نؤمن بوقوع الاخبار المغيبات من الرسل باعلام الله تعالى لهم عليهم الصلاة والسلام واذا أردنا أن نستوفى معجزات سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم التى ايده الله تعالى بها احتجنا الى كتابة مجلدات ولكن قد ذكرنا منها ما يكون فيه للعقول مقنع وفى الحقيقة ونفس الامر اذا نظر العاقل اللبيب فى نفس شريعته عليه السلام وما اشتملت عليه من الحكم والاسرار والمنافع الدنيوية والاخروية ونظر فى ذاته الشريفة وما خصه الله تعالى به من الشمائل والاخلاق المنيفة مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد ربى يتيما ونشا اميا لا يقرأ ولا يكتب بين قوم اميين ما عندهم من المعارف والفنون عين ولا أثر الا ما فطرهم الله تعالى عليه من الفصاحة والبلاغة ولم يجتمع مع اهل المعارف اجتماعا يؤهله لاكتساب شىء مما جاء به وبانه لا تخلق وما جاء به بحر عجاج يستغرق الاحاطة بعشره العمر المديد جزم ذلك العاقل اللبيب ان حاله عليه السلام وحال شريعته هو امر خارق للعادة يحكم العقل بانه معجزة اكرمه الله تعالى بها مؤيدة لدعواه ولكن هذه المعجزة لا يدركها ولا يفهم كنهها الا اهل الدقة فى النظر واذكياء الخلق من البشر

لان من سواهم لا يفهم الا لمعجزات المحسوسة بحاسة السمع والبصر مثل كلام الحجر والشجر وانشقاق القمر والله تعالى قد أيد نبيه عليه السلام بكلا النوعين من المعجزات كما يظهر مما قدمناه فى بيان معجزة القرآن الشريف وسواها من المعجزات المثة ولة فى الحديث المنيف ولنذكر الآن طرفا من بيان حال شريعته عليه الصلاة والسلام وحالته الشريفة العظيمة الشأن عسى ان ينتفع بذلك بعض اهل هذا الزمان فنقول اذا نظر العاقل المنصف فى شريعة حضرة سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم نظر من يريد الاطلاع على الحقائق وأحاط باسرارها على قدر الطاقة سالكا أوضح الطرائق ظهر له ظهور الشمس فى رابعة النهار أن الشريعة المحمدية تأمر بكل خير وتنهى عن كل شر وضير هى أنفع ما يكون للانام على مدى الليالى والايام فيرا نها تأمر الخلق بالاعتقادات بالعقائد الصحيحة فى حق الله تعالى بوصفه سبحانه بكل كمال يليق بشأن الالوهية وتنزيهه عن كل نقص تعالى عنه صفة الربوبية وكذلك فى حق الرسل الكرام الذين جعلهم الله تعالى هداة الانام من نحو اعتقاد عصمتهم من المعاصى وتنزيههم عن كل نقص يخل بمنصب الرسالة وتامر بعبادات هى فى الحقيقة عائدة بالنفع على العباد فتامر بالطهارة وهى مع ما اشتملت عليه من منافع النظافة والنشاط للابدان تذكار الانسان بالتوبة التى هى طهارة المرء من الذنوب والآثام وتامر بعبادة الصلاة وهى من أعظم المهذبات للنفس بما اشتملت

عليه من الخضوع والخشوع والركوع والسجود تعظيما لله تعالى وفيها التوسل اليه سبحانه والضراعة لديه وسؤاله الرحمة والمغفرة والاعانة والاستعاذة من العقاب فلذلك كانت وصلة بين العبد وربه وتذكاراً له بمن هو الرقيب عليه فلو ان الانسان استغرق في الغفلة عن مولاه بانهماكه في أشغال دنياه لطغت نفسه وأنساه الشيطان ذكر خالقه وهون عليه سلوك سبيل المعاصي والشهوات ولكنه بوقوفه في اليوم والليلة خمس مرات بين يدي مولاه مستحضراً عظمته وجلاله يلتجئ الى التوبة عما جناه وتفترهمته عما من المعاصي نواه وفي ذلك يظهر مصداق قوله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وفي اجتماعات الصلوات من صلاة الجماعة والجمعة والعيدين تسهيل سبيل التعارف والتآلف بين المسلمين والتعاضد على نصرة الدين وألفة الاطاعة لامير [illegible] حكم كثيرة يقصر عنها قلم الكاتبين وتامر بالصوم وفيه تهذيب النفس [illegible] عن شهواتها وتمرين الانسان على ردع نفسه عن المعاصي والشهوات الضارة وتذكار المرء لاحوال الفقراء والمساكين وما يحدو [illegible] من ألم الجوع ولولا الصيام لكان [illegible] عمره ولا [illegible] هو ألم [illegible] لاشفقة على الفقراء في قلبه أثر وتامر بالزكاة وفيها الاحسان [illegible] حاجاتهم وتهذيب نفس الغني وتطهيرها عن [illegible] المذكور وتامر عباده بالحج وهو زيارة أمكنة مخصوصة وعدا [illegible] على لسان رسوله

عليه السلام بغفران الذنوب وقبول التوبة عنده وفى ذلك اجتماع المسلمين أولوا مؤلفة فى تلك الاماكن وذلك يدعو الى التعارف والتآلف وفيه تذكار ما جرى لرسل الله الكرام وعباده الصالحين فى تلك البقاع المشرفة كتذكار ما جرى لسيدنا آدم عليه السلام ولزوجته هناك من قبول الانابة للمولى وما جرى لسيدنا ابراهيم الخليل ولولده اسماعيل عليهما السلام من الامتحان واطاعتهما للرحمن وبتذكار أعمال أولئك الاخيار وبمحا كاتها فى تلك الديار تنبعث الانفس لتذكار بقية اعمالهم وعباداتهم واطاعتهم لمولاهم وتشتاق للاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم فى كل مرضى اخلاقهم وفيه زيارة البيت المعظم الذى سماه الله تعالى بيته وهو سبحانه غنى عن المكان وانما ذلك منه تعالى تنزل لافكار البشر الذين اعتادوا على الالتجاء لبيوت ملوكهم عندما تدهمهم المصائب فالحجاج يلتجئون الى ذلك البيت مستجيرين من مصائب الذنوب وبوائق المعاصى طالبين منه تعالى الاجارة من بلايا الآثام راجين منه المغفرة كما وعدهم على لسان سيد الاكوان وبذلك تطمئن نفوسهم بنوال المغفرة بامتثال ما أمروا به من الاعمال عند تلك الامكنة الطاهرة الى غير ذلك من الحكم والاسرار التى يضيق عنها هذا الكتاب المختصر فليرجع بذلك الى كتب الشريعة الغراء المكفلة بمزيد البيان وتامرك الشريعة بكل فعل حسن وتنهى عن كل فعل قبيح مضر بالجسد أو العقل أو العرض أو المال وتامر بالاخلاق

المحمودة كالحلم والصبر والرضاء والرحمه والشفقه وتنهى عن كل خلق ذميم كالكبر والحسد والبغضاء والحقد حتى انها ما تركت امرا حسنا الا امرت به وحضت عليه ولا امرا قبيحا الا حذرت منه ونهت عنه وقد جعلت لبعض المنهيات الظاهرة الضرر عقوبات وحدودا لاجل الزجر عنها كمثل قتل النفس ظلما الذى قبحه لا يحتاج الى بيان ومثل الزنا الذى يقتضى اختلاط الانساب وفقد الناصر وكشرب الخمر الذى يزيل العقل ويؤهل الانسان لارتكاب كل قبيح وكل ذلك ينطوى تحته حكم بديعه واسرار رفيعة تعلم من الاطلاع على كتب هذه الشريعة وكذلك لم تدع بابا من أبواب المعاملات والسياسات البشرية الا وضعت له قواعد وشرعت له أصولا ينتظم بها أمر المعاش بين البشر و ستوفى بها كل من القوى والضعيف حقه فبينت أصول البيوع والشركات والانكحة والمواريث والمعاهدات وكيفية الاطاعة لولاة الامور وكل ما يقوم به صلاح الامة من كلي وجزئي يعلم ذلك من الاطلاع على كتب الفقه اصولا وفروعا فاتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الشريعة التى يعجز عن الاتيان بها اكبر العلماء واحذق الاذكياء واكبر السياسيين الممارسين سياسة الامم مع انه عليه الصلاة والسلام كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يتفق له تعلم من احد البشر فى مدة حياته هو معجزة خارقة للعادة ودليل على ان تلك الشريعة من عند الله تعالى ارسله بها سبحانه لارشاد الخلق الى الحق اما كونه عليه السلام اميا لا يقرأ ولا يكتب

فهو أمر مشهور متواتر بالتواتر الصحيح الذي جاءت به المئات والالوف من العدول الثقاة وقد صرح به في القرآن الشريف في عدة آيات والقرآن يتلى على رؤس الاشهاد من زمنه عليه السلام الى يومنا هذا ولم ينكر كونه أميا أحد من قومه ولا أحد وجد بعد زمانه قال الله تعالى في القرآن الكريم وما كنت تتلوا (من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) واما انه عليه السلام لم يتفق له التعلم من أحد من الناس فلانه نشأ بين قومه في مكة مشهورا معروفا بينهم لانه من ذوي البيوت وأصحاب الحسب ومثله لا يجهل في بلدته وقومه أميون لم يوجد بينهم من يعرف القراءة والكتابة الا القليل وأما من يكون محيطا بعدة معارف ومطلعا على سياسات البشر وقوانين الامم بحيث يؤهله ذلك لترتيب مثل هذه الشريعة التي جاء بها الرسول عليه السلام فلم يكن موجودا بينهم لا منهم ولا من سواهم اذ مثل هذا لا يخفى وجوده في بلدة مثل مكة ولكان يعد مشهورا بين الخاص والعام ولو قصدان يخفى نفسه لعسر عليه ذلك وأيضا ان تعلم الرسول عليه السلام تلك الشريعة من مثل هذا الانسان المفروض لا يكون في مجلس أو مجلسين بل يحتاج الى اعوام وازدد عليه في كثير من الليالي والايام فليس من الممكن عادة أن يخفى تعلمه منه على جميع أهل بلده مع ما تجري ذلك واجتماعه به وقد كان بعض المشركين تمسكوا بمثل هذه الشبهة وحاروا فيها وقالوا (انما يعلمه بشر) يعنى القرآن من فلان وذكروا رجلا أعجميا كان بينهم

فافتضحوا بهذه الدعوى الواضحة البطلان حيث نسبوا تعلم القرآن الذى هو فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة العربيتين الى رجل اعجمى ليس عنده ادنى فصاحة ولا اقل بلاغة توجد فى اللسان العربى وقد رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة فى كتابه المجيد فقال سبحانه (لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين) وان قيل ربما أن (محمداً) عليه السلام تعلم تلك الشريعة من احد الناس خارج مكة فى بعض البلاد الشامية التى روى انه سافر اليها قبل دعوى الرسالة مع جملة من التجار قلنا ان الذى ثبت نقله وصحت روايته أنه عليه السلام ماغاب عن مكة فى البلاد الشامية الا عدة ايام تبلغ الشهرين أو الثلاثة هى مدة الذهاب والرجوع وقضاء مصالح التجار الذين سافر معهم وتلك المعارف التى ظهرت فى شريعته يحتاج تعلمها الى شهور وسنوات وليال كثيرة وايام ولو كان المعلم من ابرع المعلمين والمتعلم من أذكى التلاميذ فأى عاقل يصدق انه عليه السلام تعلم جميع تلك المعارف فى تلك الايام القلائل التى غاب فيها عن مكة وهو رجل أمى لا يقرأ ولا يكتب وتلك المدة لا تكفى لتعلم باب واحد من ابواب تلك الشريعة ولو كانت المدة لم يكن قاصراً على ان الرسول عليه السلام ماجاء بتلك الشريعة واظهرها دفعة واحدة من اول دعواه الرسالة بل كان يأتى بها متفرقا على حسب الحوادث من اول دعواه الى ان تم دينه وانتشر بين الامم المسلمين فى مدة ثلاث وعشرين سنة فكان تبلغ احكام شريعته

وجميع مشتملاتها للناس شيا بعد شيء على حسب المقتضيات والمصالح والحوادث والسا كل والسؤالات والشبه الواردة من اختصاصه فياتى فى مقابلة كل شيء بما يطابقه وفق المرغوب وهذه الكيفية معلومة لنا بالضرورة بما نقل من سيرته وكيفية تمام أمره نقلا صحيحا متواترا وحينئذ يقال ما الذى أعلم ذلك المعلم الذى يدعى الخصم انه علم الرسول عليه السلام بجميع الحوادث المستقبلة التى سوف تقع وتتحقق له بينه وبين اخصامه أو اتباعه سواء قيل إن ذلك المعلم من نفس مكة او من خارجها فعلمه قبل دعواه الرسالة جميع ما يناسب الحوادث التى سوف تحدث معه فى مدة دعواه وعرفه جواب كل سؤال سوف يرد عليه ودفع كل شبهة وحكم كل حادثة وحل كل مشكلة وصار عليه السلام يورد كل شيء مما يناسبه و يحسنه فى وقته مسددا مقنعا للاعداء كما روا ا ترى من [illegible] يعرف بان أحدا مه سوف يقع او يتحقق وقوعه الى آخر الزمان ومن يطلع [illegible] يحدث من الحوادث فى مده دعواه الرسالة يعلم ان احاطة احد بجميع ما سوف يحدث فى تلك المده واستحضار ما يلزم له هو من احد لا عادة ولا يقول به الا مكابر وقد كان عليه السلام فى اكثر احواله يرد عليه السؤال [illegible] الشبهة و يجيب عن ذلك فى مجلسه فى الملأ العام بين [illegible] صحابه واعدائه المشركين ولم يشاهد احد حينئذ انه التفت الى واحد من الحاضرين و يسأله متعلما منه ما يلزم له من الجواب او يضطر اليه من

الخطاب بل هو المجيب والمدافع والمعيد والمعلم وكل من لديه تلامذة متعلمون فان هذا المعلم للرسول الذى يزعمه الخصم ما هذا الزعم الا افتراء بارد فقد ظهر الحق لذوى الانصاف وتبين ان اتيان سيدنا (محمد) الامى بهذه الشريعة القرآنية معجزة من معجزاته وان دعوى تعلمه من احد من البشر هى دعوى باطلة لا يقول بها الا كل جاهل باحوال سيرته وتاريخ حياته او معاند مكابر للحق هدانا الله تعالى الى منهج النجاة آمين

واما حاله عليه الصلاة والسلام فى ذاته الشريفة واخلاقه وشمائله المنيفة فقد نقل العدول وصح لنا الاخبار البالغة بكثرتها درجة التواتر ان سيدنا (محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم قد وهبه الله تعالى المحاسن خلقا وخلقا وجمع الله تعالى فيه الفضائل الدينية والدنيوية اما حسن صورته وخلقته فقد ثبت النقل الصحيح انه عليه السلام كان احسن الناس صورة واصحهم خلقة فكان على ما يرام من المحاسن والجمال الظاهر كما قال فيه مصطفاه

واحسن منك لم ترقط عيني * واجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

وقد افردت محاسن ذاته الشريفة بالتأليف وتشرف بالاطلاع عليها من اراد واجمع ما وصفه به الواصفون قول بعض من شاهده عليه السلام هو اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب ... ... ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ...

قبله ولا بعده مثله وتخصيص الله تعالى له بحسن الصورة هو من جملة الحكم الالهية فان الله تعالى بعثه داعيا للخلق وحسن الصورة مما تلعه الانفس وتلذ به الاعين فتقبل عليه كما ان قبح الصورة منفر مشرد واما وفور عقله عليه السلام وذكاء لبه فقد صحت الاخبار وتوارت القول انه كان عليه السلام اعقل الناس واذكاهم ومن نظر الى تدبيره امور بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة وتاليفه اجلاف البوادى واخشان الجبال وتهذيبه لهم حتى اصبحوا من اكمل الناس ادبا ومعرفة وسيرة فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت لم يشك فى رجحان عقله وثقوب فهمه عليه السلام لاول بديهة وهذا لا يحتاج الى تقرير الدليل لتحققه بالمشاهد فى عصره وتواتره بعد ذلك بين طوائف العالم وقد اعطى عليه السلام جوامع الكلم وخصص ببدائع الحكم وافرد الناس جوامع كلمه وبدائع حكمه بالتاليف فمن ذلك قوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله لا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له وقوله ما هلك امرؤ عرف نفسه وقوله المستشار مؤتمن وهو بالخيار حتى يتكلم وقوله رحم الله عبدا قال خيرا فغنم اوسكت فسلم وقوله ان احبكم الى واقربكم منى مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقوله اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة

الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله خير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله السعيد من وعظ بغيره الى غير ذلك من جواهر الكلام وجوامعه وبديع الحكم التى يقصر عن استيفائها القلم واما حلمه عليه السلام وعفوه وصبره فقد كان فى الدرجة العليا من هذه الاخلاق فقد صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتقم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم الله بها ولما آذاه المشركون اشد الاذى قيل له لو دعوت عليهم فقال إنى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون ثم احذ يدعو على القبائل التى غدرت بجملة من قراء الصحابة وقتلهم ظلما غيرة منه عليه السلام على حرمة الله التى انتهكت في قتل اولئك المؤمنين المظلومين ولما انزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شىء كف عن الدعاء عليهم وفوض الامر اليه تعالى وكم هم الناس بقتله غدرا او قبض عليهم فعفى عنهم وكم جافاه اجلاف العرب فلاطفهم فهو كما قيل وصفه فى الكتب القديمة ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما وكم صبر على مقاساة قريش وصابر الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون فى إهلاكه لهم عن آخرهم فما زاد على ان عفا وصفح عنهم وقال اقول كما قال اخى يوسف (لا تثريب عليكم اليوم) اذهبوا انتم الطلقاء والآثار فى ذلك كثيرة وكلها تدل على انه عليه الصلاة والسلام كان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى واما جوده

وسخاؤه وسماحته عليه السلام فقد كان بحرا زاخرا في هذه الاخلاق الكريمة
فما روى ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا
فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل
ورد على هوزان سبايا هم وكانوا ستة آلاف وقوم ما وهبه لهوزان فكان
خمسمائة الف الف والروايات في ذلك اكثر من ان تحصى واما شجاعته
ونجدته عليه الصلاة والسلام فقد كان منهما بالمكان الذي لا يجهل قد
حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح
مقبل لا يدبر ولا يتزحزح قال علي رضي الله تعالى عنه كنا اذا حمي البأس
واحمرت الحدق اتقينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون احد
اقرب الى العدو منه واما حياؤه واغضاؤه فقد كان عليه الصلاة والسلام اشد
الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء وكان لا يشافه احدا بما يكره
حياء وكرم نفس حتى كان اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان
يقول كذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه
ولا يسمي فاعله ولم يكن عليه الصلاة والسلام فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا
في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة واما حسن عشرته وادابه وبسط
خلقه مع اصناف الخلق فهو امر مشهور فورد انه كان اوسع الناس صدرا
والينهم عريكة واكرمهم عشرة وكان يؤلف المسلمين ولا ينفرهم ويكرم
كريم كل قوم ويوليه عليهم ويتفقد اصحابه ويعطي كل جليس نصيبه ولا

يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه من جالسه اوقاربه صبر على سؤاله وذكر حوائجه حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء كان دائم البشر سهل الخلق ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا عياب ولا فحاش ولا مداح وكان يجيب من دعاه و يقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس رضي الله تعالى عنه خدمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين فما قال اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته ولا دعاه احد من اصحابه اومن اهل بيته الا قال لبيك وكان يمازح اصحابه ولا يقول في مزاحه الا حقا ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وما اخذ احد بيده فيرسله بيده حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدما ركبته بين يدي جليس له و يبتدئ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة ويعزم عليه بالجلوس عليها ان ابى ويدعو اصحابه باحب اسمائهم اليهم وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله حاجته واذا فرغ عاد الى صلاته وروى عن انس رضي الله تعالى عنه انه قال كان خدمة المدينة يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة اي الصبح بما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها

وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون التبرك به وأما شفقته ورحمته
على أمته فذلك أمر مشهور وشواهده لا تحصى وقد كان يسمع بكاء الصبي
فيتجوز في صلاته رحمة بامه ويكفي بالدلالة على ذلك انه ماخير بين
امرين الا اختار ايسرها فجزاه الله تعالى عنا كل خير واما خلقه بالوفاء
وحسن العهد وصلة الرحم فهو شهير موفور وقد روى انه وفد عليه وفد
النجاشي ملك الحبشة الذي كان قد هاجر الى بلاده جملة من الصحابة فاكرم
مثواهم فقام صلى الله تعالى عليه وسلم يخدم أولئك الوفد بنفسه فقال أصحابه
نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني أحب ان أكافئهم وأقبل
أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها
شق ثوبه من جانبه فجلست عليه ثم أقبل اخوه من الرضاعة فقام فاجلسه
بين يديه وقد ورد في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم انه يصل الرحم ويحمل
الكل ويقري الضيف ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق وأما
تواضعه عليه الصلاة والسلام مع علو منصبه ورفعة رتبته فكان اعظم الناس
تواضعا واعدمهم كبرا كان يقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما
يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس مع اصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به
المجلس جلس وكان يدعى الى خبز الشعير فيجيب ويأكل مع الخادم وحج
على رحل رث وعليه كساء من صوف لا يساوي أربعة دراهم وقد اهدى في

ذلك الحج مائة بدنة وكان في بيته في مهنة اهله يحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويكنس البيت ويعلف البعير ويخدم نفسه ويحمل ما يشتري من السوق مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته لكنه يحب فعل ذلك تواضعا وتشريعا واما عدله وعفته وصدق لهجته صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كان اعدل الناس واعفهم واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك اعداؤه وكان يتحاكم اليه في الجاهلية قبل الاسلام وورد انه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها وما خير في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وقد جزء نهاره ثلاثة اجزاء جزء لعبادة ربه وجزء لمصالح اهله وجزء لنفسه ثم جزء جزءه بينه وبين الناس وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر وقد كان معروفا بالصدق بين قومه من اول نشأته حتى دعوه (محمد) الامين وقال بعض المشركين بعد بعثته انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله تعالى في القرآن المجيد قوله تعالى (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) واما وقاره وصمته وحسن هديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كان اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيء من اطرافه وكان كثير السكوت لا يتكلم من غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول فيه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه

بجالس حلم وحياء وخير وامانة اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنّ على رؤسهم الطير وكان احسن الهدى هديه وكان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر واما زهده في الدنيا فحسبنا منه تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بجملتها وترادفت عليه فتوحاتها بما يسر الله من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد لتوسع فيها واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى اقل قليل منها وحسبنا ما ورد انه ما شبع من خبز شعير يومين متواليين وما ترك دينارا ولا شاة ولا بعيرا ولم يترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة وقد كان فراشه جلدا مدبوغا وحشوه ليف وكان ينام احيانا على سرير من خوص النخل حتى يؤثر بجنبه الشريف عليه الصلاة والسلام وكان يبات جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء لجمع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها قالت احدى نسائه كنت ابكى رحمة له مما اراه وامسح بيدى على بطنه مما به من الجوع واقول نفسى لك الفداء لو تبلغ من الدنيا بما يقوتك فيقول مالى وللدنيا اخوانى من اولى العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاستحى من الله ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى واذا اردنا استيفاء جميع اخلاقه الحميدة وعموم صفاته المجيدة احتجنا الى تطويل لا يحتمله

هذا الكتاب المراعى فيه الاختصار وبما ذكرناه يظهر للعاقل المنصف المتدبر ان اختصاصه عليه السلام بتلك المحاسن وتحليته بهذه المكارم مع انه تربى يتيما بين امة جاهلية تغلب عليهم القسوة والجور وخشونة الطباع وعدم التهذيب ما كان ذلك الا بمحض عناية من الله تعالى به واقامته بمنصب رفيع ومقام جليل ومن تكون فيه تلك الصفات الكاملة والاخلاق الفاضلة والعقل الثاقب والرأى الصائب ما كان ليتلبس بصفة الكذب والاحتيال ويخصع الناس بزخارف المحال ويدعى افتراء على الله تعالى انه رسوله قد اختاره واصطفاه على من سواه انرى العاقل منا يمنعه عقله ويأبى عليه ضميره ان يكذب كذبة واحدة على رجل مثله او دونه وتانف نفسه الشريفة ان يقدم على ذلك ولو اضطره الحال فكيف ان من كان عقله فى اعلى درجات الكمال وهو متصف باشرف الخصال يقدم بالكذب على الاله الكبير المتعال ويمارس ذلك على ممر الايام والليالى معاذ الله ان يقدم على ذلك من له ادنى عقل واقل كمال ثم انظر يب من احواله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكل احواله غريبة وهو دليل على صدقه واعانة الله تعالى له انه قلب حال الامة التى قام بينها وهى امة جاهلية مغموسة فى بحار الجهالات والضلالات فى العبادات والعادات فرفعها من حضيض الرذائل الى اوج الفضائل فبدل جورها بالانصاف وخشونتها باللين وجهلها بالعلم والمعرفة وعداوتها بالمحبة والالفة ومحاربتها الجورية بالسلام والامان وشقاءها بالنعيم وضلالها بالهدى الى الصراط

المستقيم وعصيانها بالطاعة وفرقتها بالجماعة وضعفها بالقوة وخيانتها بالامانة وفحشها بالعفة والصيانة وقد كان عندها من حميد الشمائل والكرم ولكنه مشوب بالتبذير والاسراف والشجاعة ولكنها معاومة بالجور والاعتساف فبدل عليه الصلاة والسلام خصالها وهذب اخلاقها حتى أصبحت خير الامم وأكرم العالم وسرى ذلك الى الامم الاخرى التى اعتنقت دينه المبين فأصبحوا من خيار الصالحين وكل ذلك جرى على يديه عليه الصلاة والسلام بواسطة شريعته التى هى منهج السعادة وبحسن سيرته وصفاء اخلاقه وكمال سياسته ولا شك ان ذلك منه كان أمرا خارقا للعادة يعد من أعظم المعجزات عند ذوى الاذهان وقد اشتبه على بعض الاجانب عن الدين المحمدى لما رأوا ان الجهاد مشروع فيه فظنوا أن هذا الدين ما تم أمره الا بالسيف والارهاب وهى شبهة باطلة عافت فى فكرهم لم يطلع على سيرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأول نشأته وقيام دينه المبين وأما من عرف ذلك فلا يجد لهذه الشبهة عينا ولا أثرا وبيان ذلك أن الذى ثبت نقلة صحيحا فى سيرته عليه السلام فى بدء أمره أنه لما قام فى دعوى الرسالة فى مكة المكرمة كان وحيدا فريدا ليس صاحب سلطان ولا معتمدا على عصبة عشيرة بل إنه عندقيامه بتلك الدعوى عند جماهير الامم كان أول مكذب له عشيرته وعادوه أشد المعادات وسلطوا عليه أشرارهم بالاذى والاضرار وهو ملتزم طريق الهداية والارشاد فصار يقيم البراهين على صدق دعواه و يورد المواعظ و يؤلف

المطلوب بكل ممكن ويأمر بأوامر شريعته المورثة الخير وينهى بنواهيها عن كل ما يورث الضير ومضى له على ذلك مدة تبلغ عشر سنوات وهو مقيم في مكة ولم يأمر بإراقة قطرة دم لاعدائه بل يتلو قرآنه المشتمل على قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقوله في خطاب من اتبعه (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وقوله (ومن كفر فعليه كفره) الى غير ذلك من الآيات وهاجر من مكة الى المدينة وهو ملتزم لهذه الطريقة مدة من اقامته في المدينة وقد اتبعه مع تلك الحال والطريقة الجم الغفير من أهل مكة وأهل المدينة وطوائف العرب كما يعلم من مراجعة سيرته وقبلت شرعه العقول السليمة واستحسنته الطباع الصحيحة ولا خوف هناك ولا ترهيب لكن لما ظهر للعقول السليمة والانظار القويمة أن المخالفين الذين لم يتبعوه عليه السلام لا يعمل معهم البرهان ولا تنفع فيهم الموعظة ولا يثمر لديهم الارشاد بل هم فضلا عن ضلالهم وغشهم لانفسهم بعدم قبول الدين الحق وسلوك سبل الاستقامة لا ينفكون عن اذاه عليه السلام واذى اتباعه كلما سنحت لهم [illegible] ينصبون لهم المكائد ويقيمون في سبيل دينهم العاثر ويحترزون [illegible] الاضرار ويعاملونهم [illegible] الاشرار ووجد أن دوام المعاملة [illegible] المخالفين [illegible] ويشوش أمر الدين على [illegible] أذن الله تعالى له عند ذلك [illegible] الاعداء [illegible] والاشرار البلداء [illegible] الترغيب مع هؤلاء الاشرار بالترهيب [illegible] الفساد

وقطع جرثوم: العناد اذ قد يسمح بالاشرار لسلامة الاخيار و يقطع العضو المريض لوقاية صاحبه من البوار ولكن شرع الله ذلك الجهاد فى شريعة سيدنا (محمد) عليه السلام على حدود تبقى للرفق محلا وللشفقة والعدل منالا حتى لو قوبل جهاده مع الجهاد المشروع فى الشرائع المتقدمة كشريعة سيدنا موسى عليه السلام لوجد أن فى جهاد شريعة سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم تخفيفا لم توجد فى سواه يعلم ذلك من الاطلاع على شؤون الشريعتين وفيما قررناه ظهر أن تلك الشبهة التى يزعم صاحبها أن الدين المحمدى قام بالسيف هى شبهة ظاهرة البطلان مهدومة الاركان والحق الحقيقى بالقبول انه ما كان أساس الهدى والسعادة لنا ولاسلافنا الا نور شريعة سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم وهديه وارشاده فجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء ورفع درجته فى أعلى عليين فعلينا معشر المسلمين مداومة محبته وتعظيم جنابه الشريف وفداؤه بالارواح ومن محبته عليه السلام تعظيم شرعه بطاعة أوامره واجتناب نواهيه كما قيل أن المحب لمن يحب مطيع وأما الشخص الذى يدعى محبته وهو مخالف لشرعه مخالف له يكون مكذبا لدعواه رشاده بعيدا عنه بحيث لطو... ومن محبته عليه الصلاة والسلام محبة آل بيته وعترته و تعظيم حملة شريعته واكرامهم والاحسان اليهم و ... معرفة نسبه الشريف من جهة أبيه ومن جهة أمه حتى قال بعض العلماء

بوجوب ذلك فأما نسبه من جهة ابيه فهو سيدنا (محمد) بن عبد الله * بن عبد المطلب بن هاشم * بن عبد مناف * بن قصى * بن حكيم * بن مرة * بن كعب * بن لؤى * بن غالب * بن فهر * بن مالك * ابن النضر * بن كنانة * بن خزيمة * بن مدركة * بن إلياس * ابن مضر * بن نزار * بن معد * بن عدنان * وليس فيما بعده الى آدم عليه الصلاة والسلام نقل صحيح واما نسبه صلى الله عليه تعالى وسلم من جهة أمه فهو سيدنا (محمد) بن آمنة بنت وهب * بن عبد مناف * بن زهرة بن حكيم فتجتمع معه عليه السلام فى جده حكيم ومن كمال محبته عليه السلام معرفة أسماء اولاده رضي الله تعالى عنهم وهم سبعة على الصحيح سيدنا القاسم * وسيدتنا زينب * وسيدتنا رقية * وسيدتنا فاطمة * وسيدتنا ام كلثوم * وسيدنا عبد الله هو الملقب بالطيب الطاهر وسيدنا ابراهيم * وكلهم من سيدتنا خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنهم الا سيدنا ابراهيم فمن مارية القبطية

ومن حسن الادب مع حضرته عليه الصلاة والسلام اعتقاد نجاة ابويه إما بالاعتماد على قول من يقول بنجاة اهل الفترة الذين كانوا قبل بعثة الرسول عليه السلام وهما من جملتهم واما بالاعتماد على ما ورد فى بعض الآثار ان الله تعالى احياهما له حتى آمنا به وذلك جائز داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى واعلم انه قد دلت النصوص الشرعية وانعقد اجماع الامة المحمدية على ان

سيدنا (محمدا) صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث من الله تعالى الى الناس كافة بل الى الثقلين الانس والجن لا الى العرب خاصة كما زعمه بعض الكفار وانعقد اجماع الامة أيضا على أنه خاتم الانبياء والمرسلين لا نبي بعده فشرعه عليه السلام لا ينسخ الى آخر الزمان أى لا يرفع بشرع سواه وسيدنا عيسى عليه السلام عند نزوله الى الارض فى آخر الزمان انما يحكم بشرع نبينا عليه السلام لا بشرع جديد وعدم قبول سيدنا عيسى للجزية هو من جملة شرع نبينا لان قبول الجزية فى الشرع المحمدى غايته الى نزول عيسى عليه السلام وقد انعقد الاجماع أيضا على أن شرع نبينا ناسخ لسائر الشرائع المتقدمة أى ناسخ أكثر أحكامها غير العقائد منها وأما العقائد كالايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فهى ثابتة فى سائر الشرائع وحكمة نسخ شريعة بأخرى هى اختلاف المصالح بحسب الازمنة مثلا المصلحة فى زمن الامم السابقة اقتضت تكاليفهم بشرائعهم والمصلحة فى زماننا الى آخر الدهر اقتضت تكليفنا بشريعة نبينا وبهذا ظهر سقوط شبهة من يقول من الكفار انه يلزم على القول بالنسخ ظهور مصلحة كانت خفية على الله تعالى اذ يقال له ان الله تعالى من الازل عالم بمصلحة كل أمة وزمانها فرتب قديما لكل أمة شريعة وأرسل رسولا بكل منها وجعل المتأخرة ناسخة المتقدمة فأين الخفاء على الله تعالى وانعقد الاجماع أيضا على أن نبينا عليه الصلاة والسلام أفضل الخلق أجمعين لم يخالف فيه أحد من

مخلوقات الله تعالى ثم الراجح عند العلماء أن الافضل بعد نبينا سيدنا ابراهيم ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح وهؤلاء الاربعة مع نبينا هم أولوالعزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الانبياء غير الرسل وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالى ثم سيدنا جبريل ثم سيدنا ميكائيل من الملائكة ثم بقية رؤساء الملائكة ثم عوام البشر والمقصود منهم أولياؤهم غير الانبياء كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ثم عوام الملائكة وقد ثبت في الاحاديث النبوية أن قرنه عليه الصلاة والسلام أي أصحابه هم خير القرون المتقدمة والمتأخرة ماعدا الانبياء والرسل والصحابي هو من اجتمع بالرسول عليه الصلاة والسلام مؤمنا به ومات على ذلك وافضل أصحابه عليه الصلاة والسلام خلفاؤه الاربعة على ترتيب خلافتهم فأولهم في الفضل أبو بكر الصديق ثم سيدنا عمر بن الخطاب ثم سيدنا عثمان بن عفان ثم سيدنا على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وافضل القرون بعد قرنه عليه الصلاة والسلام قرن التابعين وهم الذين اجتمعوا بالصحابة اجتماعا متعارفا ثم قرن اتباع التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومما انعقد عليه اجماع الامة انه النبوة خصيصة من الله تعالى لا تكون مكتسبة للعبد ويفسرونها باختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بتبليغه أم لا وكذلك الرسالة لكن بشرط ان يؤمر بالتبليغ واما الولاية فالاظهر عند العلماء فيها التفصيل فمنها ما هو مكتسب وهو امتثال

المأمورات واجتناب المنهيات وتسمى الولاية العامة ومنها ما هو غير
مكتسب وهو العطايا الربانية كالعلم اللدنى ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك
ولنختم مبحث المعجزات ببيان بقية خوارق العادات فنقول قد علمت ان
الامر الخارق للعادة اذا ظهر على يد مدعى الرسالة من عند الله تعالى او النبوة
يسمى معجزة فأما اذا ظهر للرسول قبل دعواه النبوة أو الرسالة كما ورد
أن سيدنا ﴿ محمدا ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تظلله الغمامة قبل
ارسال الله تعالى له وادعائه الرسالة فيسمى هذا ارهاصا اى تأسيسا للرسالة
واما اذا ظهر الامر الخارق للعادة على يد ظاهر الصلاح والديانة وليس
عنده دعوى النبوة والرسالة فيسمى كرامة ونحن معشر المسلمين من اهل
السنة والجماعة نؤمن بكرامات الاولياء لورود النصوص الشرعية بذلك
ونقل الاخبار الكثيرة وقوع خوارق العادات للكثير من الصالحين
اكرمهم الله تعالى بها لاجل ان يحترموا بين الناس اوليقبل ارشادهم
وموعظتهم اذا اقامهم الله تعالى فى مقام الارشاد اولتفريج كروبهم وقضاء
مصالحهم اذا احتاجوا الى ذلك وكل ذلك فضل من الله سبحانه وتعالى عليهم
ولا يجب عليه تعالى شىء من ذلك والاولياء جمع ولى وهو العارف بالله
تعالى وصفاته حسب الامكان المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصى بمعنى
إنه اذا ارتكب معصية بادر الى التوبة وليس المراد انه لا تقع منه معصية
إذ ليس هو معصوما المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات المباحة

واما اصل التناول للذات المباحة فلا مانع منه لا سيما اذا كان بقصد التقوى على طاعة الله تعالى وأما اذا ظهر الامر الخارق للعادة على يد مستور الحال لا ظاهر الصلاح ولا ظاهر الفسق فيسمى معونة اى اعانة من جانب الله تعالى واما اذا ظهر على يد ظاهر الفسق فيسمى استدراجا بمعنى ان الله استدرجه باظهار ذلك على يده فيتمادى بفسقه ثم اذا اخذه الله تعالى لم يفلته والعياذ بالله تعالى وهذه الاقسام الخمسة من خوارق العادة تكون على وفق مقصد من تظهر على يديه وبقى قسم آخر وهو ان يقع الامر الخارق للعادة للمرء على خلاف ما يطلبه كما روى ان مسيلمة الكذاب الذي ادعى الرساله فى زمن نبينا عليه الصلاة والسلام قد بصق فى عين رجل لتشفى فعميت الاخرى ويسمى هذا القسم من خوارق العادة خذلانا أى تكذيبا وخزيا من الله تعالى لذلك الكاذب ولا اشتباه بين هذه الاقسام وبين المعجزة لان المعجزة مقرونة بدعوى الرسالة او النبوة كما تقدم وموافقة لقصد من تظهر على يديه وغيرها ليس كذلك كما انه لا اشتباه بين الكرامة التى تظهر على يد ظاهر الصلاح غير مدعى الرسالة او النبوة موافقة لمطلبه وبين بقية الاقسام والله تعالى اعلم

﴿ الفصل الرابع ﴾

(فى بيان الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام)
(والايمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى)
(على رسله والقضاء والقدر)

اعلم انه يجب على كل مكلف شرعا الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام وهو ان يعتقد اعتقادا جازما بوجودهم وانهم عباد الله المؤمنون به المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقد وردت النصوص الشرعية بجميع ذلك وحقيقتهم عند اكثر المسلمين انهم اجسام لطيفة أعطاهم الله تعالى القدرة على التشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات وقد وردت النصوص الشرعية بما يفيد انهم أقسام فمنهم حملة العرش ومنهم الحافون حول العرش ومنهم أكابر الملائكة كجبريل وميكائيل واسرافيل ومنهم ملائكة الجنة ومنهم ملائكة النار ومنهم الموكلون ببني آدم ومنهم كتبة الاعمال ومنهم الموكلون بأحوال هذا العالم بالتدبير ومنهم رسل الله الى انبيائه بالوحي ودلت النصوص ايضا على انهم قادرون على الاعمال الشاقة العظيمة التى يعجز عنها الوف البشر بل جميع البشر الى غير ذلك مما ورد فى حقهم فى القرآن والاحاديث وقد اتفق ائمة المسلمين كما يؤخذ من الشفاء الشريف على

عصمة المرسلين منهم بالوحي الى انبياء البشر كما عصم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولكن اختلف العلماء فى عصمة غير المسلمين من الملائكة وقال الفخر الرازى والجمهور الاعظم من علماء الدين على عصمة الملائكة عن جميع الذنوب وقد تمسك المخالفون فى عصمتهم بأمور منها ان ابليس كان من الملائكة فعصى الله تعالى وكفر ونحن نقول ان ابليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة كما حققه الامام الرازى وغيره من العلماء ومنها قصة هاروت وماروت ونحن نقول اما الآيه التي وردت فيها وهي قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) فالذى تلخص من كلام الامام الرازى فى تفسيره ان السحرة كثرت فى ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة ويجعلون تلك الاعمال السحرية معجزاتهم فبعث الله الى هذين الملكين لاجل أن يعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك السحرة الذين يدعون النبوة كذبا ولا شك ان هذا من احسن المقاصد فهذان الملكان كانا لا يعلمون احدا السحر حتى يبذلا النصيحة فيقولا له انما نحن فتنة اى محنة يتميز بها المطيع من العاصى فهذا الذى نصفه لك من السحر وان كان القصد منه ان يظهر به الفرق بين

السحر وبين المعجزة ولكنه يمكنك ان تتوصل به الى المفاسد والمعاصي فاياك
بعد وقوفك عليه ان تستعمله فيما نهيت عنه او تتوصل به الى شيء من
الاغراض العاجلة ثم ان القوم تعلموا منهما السحر واستعملوه في الشر
وايقاع الفرقة بين المرء وزوجه ثم قال الرازي واتفق المحققون على ان العلم
بالسحر غير قبيح ولا محظور يعني انما المحظور العمل به وتقرير الاية بهذا
الوجه لا اشكال فيه ولا يدل على معصية الملكين المذكورين كما هو ظاهر
بل يكونان قد امتثلا امر الله تعالى في التعليم كما لا اشكال في انه كيف نزل
الله تعالى عليهما السحر المنهي عنه لان المحرم هو العمل به لا تعلمه لاجل
مقصد حسن حكم واما ما روي من ان هذين الملكين قد مثلا بشرين وركب
فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها الزهرة فحملتهما على المعاصي والشرك
ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فنقول ان هذه القصة قد اختلف العلماء
في صحة نقلها فقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان هذه الرواية فاسدة
مردودة غير مقبولة لانه ليس في كتاب الله تعالى ما يدل على ذلك بل فيها
ما يبطلها من وجوه ثم بين تلك الوجوه وقال الامام البيضاوي عن هذه
الرواية انها محكية عن اليهود وقال ابو السعود في تفسيره انها مما لا يعول
عليه لان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل وقال
القاضي عياض في الشفاء الشريف ان هذه الاخبار يعني المذكورة في
قصة هاروت وماروت لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم وليس هو شيء يؤخذ بقياس واذا علمت ذلك فنحن يسوغ لنا الاخذ بقول هؤلاء الائمة الاعلام والاعتماد على مارجحوه فى عدم صحة هذه الرواية ولا يجب علينا اعتقاد هذه القصة فى هذين الملكين وعلى فرض صحة روايتها كما قال به بعضهم فنقول لعلها من باب ضرب الامثال والرموز كما ذكر احتمال ذلك البيضاوى وأبو السعود و بين شيخى زاده والسيلكوتى فى حاشيتيهما على البيضاوى كيفية ذلك التمثيل أو لعل الرواية فى هذه قصة هى حكاية لما قاله اليهود وزعموه من جملة أقاصيصهم فبطلانه فى نفسه لا ينافى صحة الرواية أى حكايته لنا عنهم وعلى هذا حمل السيالكوتى قول البيضاوى محكية عن اليهود وعلى كل فلا تعارض هذه القصة عصمة جميع الملائكة والله تعالى أعلم

ومما وردت به النصوص الشرعية ويجب الايمان به ان على كل عبد حفظة من الملائكة وكاتبين يكتبون أعمال العبد من حسنات وسيئات وهذه الكتابة يكفر منكرها لتكذيبه القرآن قال الله تعالى (كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) لكنها ليست لحاجة دعت اليها لاحاطة علم الله تعالى بكل شيء وانما فائدتها ان العبد اذا علم بها استحى وترك المعاصى والكتب الحقيقى بآلة وقرطاس ومداد يعلمها الله تعالى حملا للنصوص على ظواهرها مع عدم الاستحالة فى ذلك والله اعلم ومما وردت به النصوص الشرعية أيضا وجود ملك يقبض الارواح اى يخرجها من مقرها فيجب الايمان بذلك

وورد أن اسمه عزرائيل وان له اعوانا بعدد من يموت يترفق بالمؤمن ويأتيه بصورة حسنة بخلاف غيره وسنذكر فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى الشبه الواردة فى شأن الملائكة فانظرها هناك ويجب على كل مكلف شرعا الأيمان بالكتب المنزلة من الله تعالى على الرسل عليهم الصلاة والسلام فنؤمن بأن الله تعالى كتبا انزلها على رسله وبين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده وأفضل الكتب المنزلة القرآن ثم التوراة ثم الانجيل ثم الزبور وكلها كلام الله تعالى واعلم ان كلام الله يطلق على معنيين المعنى الاول هو الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى التى ليست بحرف ولا صوت كما قدمناه فى بحث صفاته تعالى والمعنى الثانى هو الكلام اللفظى المنزل على الرسل ومعنى أنه كلام الله تعالى أنه بمجرد الوحى وليس لاحد فى اصل تركيبه كسب وهو يدل على بعض ما تدل عليه صفة الكلام القديمة لانها تدل على جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات كما مر فى بحث الصفات وهذه الالفاظ المنزلة على الرسل تدل على بعض ما تدل عليه تلك الصفة القديمة فلو كشف عنا الحجاب وفهمنا من الصفة القديمة طلب اقامة الصلاة مثلا لفهمنا ذلك من قوله تعالى فى القرآن أقيموا الصلاة وعلى المعنى الثانى يحمل قول السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ما بين دفتى المصحف كلام الله ومن أنكر أن ما بين دفتى المصحف كلام الله فقد كفر الا ان يريد انه ليس الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى ومع كون اللفظ الذى نقرأه حادثا ومخلوقا

لا يجوز أن يقال كلام الله والقرآن حادث أو مخلوق الا فى مقام التعليم لانه لاطلاقه بالمعنى الاول على الصفة القديمة ربما يتوهم أن هذه الصفة حادثة او مخلوقة ولذلك ضرب الامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه وحبس على ان يقول بخلق القرآن فلم يقل ثم اعلم ان جميع الكتب المنزلة قد نسخت بالقرآن تلاوتها و بعض احكامها والله تعالى اعلم

ومما يجب شرعاً على كل مكلف الايمان بالقضاء والقدر كما وردت النصوص الشرعية وكما أمرنا بالايمان بهما فقد نهينا عن الخوض فى مباحثهما ولكن لما كان الايمان بهما لا بد فيه من تفسير معناهما نقول ان المنقول عن الماتريدية فى تفسيرهما ان القدر هو تحديد الله تعالى أزلا كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر الى غير ذلك أى علمه تعالى أزلا صفات المخلوقات فيرجع الى صفة العلم وان القضاء ايجاد الله تعالى الاشياء على وفق علمه تعالى وتقديره لها فى الازل فقد تبين أن القدر والقضاء راجعان الى تعلق العلم الالهى الازلى بالاشياء وتعلق القدرة الالهية بها وهذا قد مر بيانه عند بيان ما يتعلق من صفات الله تعالى بالاشياء وما لا يتعلق ولكن لما كان خطر الجهل فى فن التوحيد عظيما صرح العلماء بوجوب الايمان بالقضاء والقدر ولا سيما أنه قد صرح بالايمان بهما فى صحيح الاحاديث ثم اعلم انه وان وجب الايمان بالقدر لكن لا يجوز الاحتجاج به لا قبل الوقوع توصلا الى الوقوع بأن يقول الشخص قدر الله

تعالى على الزنا مثلا وغرضه بذلك التوصل الى الوقوع فى الزنا وللشرع الحجة عليه فى ذلك اذ يقال له من جانب الشرع وما أدراك أنه قدر عليك من الازل ذلك حتى تقدم عليه فاقدامك على الذنب ليس الا لهوى نفسك وباختيارك وبذلك تؤاخذ عليه ولا يعد الوقوع تخلصا من الحد الشرعي ونحوه بأن وقع شخص فى الزنا مثلا وقال قدر الله تعالى على ذلك وغرضه التخلص من الحد الشرعي الحجة عليه ايضا اذ يقال له انك اقدمت على الذنب ولا علم لك بتقديره عليك ازلا فاقدامك عليه ما كان الا لهوى نفسك وجراءتك على الله تعالى وبذلك تؤاخذ ويجب عليك الحد والله تعالى اعلم

(الفصل الخامس)

(فى الايمان باليوم الآخر وما يشتمل عليه وبالبعث وما يتقدم ذلك من احوال الموت والقبر وما يتبع ذلك

(ورد الشبه التى ترد فى هذا المقام)

أعلم انه مما يجب على كل مكلف شرعا الايمان باليوم الاخر وهو يوم القيامة واوله من وقت الحشر وينتهى بدخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار والواجب الايمان به وبما يشتمل عليه كما يجب الايمان بما يتقدمه من العلامات التى ثبتت بالنصوص الشرعية وبما يتقدمه ايضا من قبض الروح واحوال القبر وامثال ذلك مما ثبت فى النصوص الشرعية الصحيحة وتفصيل جميع

ذلك فيما سيتلى عليك فنقول قد وردت الآيات والاحاديث الصحيحة واتفق اهل السنة والجماعة ان لكل انسان روحا جرت عادة الله تعالى انها اذا كانت فى جسده كان حيا واذا فارقته حله الموت وان عمر كل انسان مقدر بتخصيص الله تعالى لا يزيد ولا ينقص حتى المقتول فانه ميت باجله فاذا انقضى اجل الانسان قبض روحه الملك الموكل بقبض الارواح وهو ملك من اكابر الملائكة يسمى بعزرائيل فهو يقبض الروح اى يخرجها من مقرها ثم بعد وضع الانسان فى قبره يعيد الله تعالى اليه الروح و يرد اليه من الحواس والعقل ما يتوقف عليه فهم الخطاب و يتأتى معه رد الجواب ثم يأتيه فى تلك الحالة ملكان و يسألانه عن معتقده والحكمة فى هذا السؤال ان يظهر لدى الملائكة المؤمن والمطيع وغيرهما و يترتب على ذلك اما تنعم الميت فى قبره او عذابه و يستثنى من هذا السؤال من وردت الاحاديث باستثنائه كالانبياء وغيرهم كما هو مبسوط فى كتب الاحاديث ثم ان الميت اما ان يتنعم فى قبره ان كان مؤمنا مطيعا واما ان يعذب والمعذب اما ان يدوم عذابه الى يوم القيامة واما ان ينقطع كما فى بعض عصاة المؤمنين ومن احوال القبر ضغطته وهى التقاء حافتيه على الميت ولا ينجو منها احد الا من استثنى فى الاحاديث كالانبياء ثم اذا تصرم الزمان وقرب يوم القيامة ظهرت له علامات منها العلامات الصغرى التى ظهر منها فى هذا الزمان الكثير ومنها العلامات الكبرى وهى عشر ظهور المهدى وخروج الدجال ونزول

سيدنا عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة التي تكلم الناس وطلوع الشمس من مغربها وظهور الدجال ويمكث في الارض أربعين يوما يصيب الكافر حتى يصير كالسكران ويصيب المؤمن منه كهيئة الزكام وخراب الكعبة على يد الحبشة بعد موت عيسى عليه السلام ورفع القرآن من المصاحف والصدور ورجوع أهل الارض كلهم كفارا ثم ينفخ في الصور النفخة الاولى فيموت أهل الارض والسموات والصور هو شيء كالقرن كبير جدا ينفخ فيه سيدنا اسرافيل أحد كبراء الملائكة ثم بعد مضي زمان طويل والخلائق موتى ينفخ في الصور مرة اخرى فيبعث الله تعالى الموتى من قبورهم ويحشرهم الى الموقف وهو الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء واجراء حسابهم ومن أهوال الموقف طول الوقوف فيه ودنو الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون على قدر الميل وخوضهم في العرق الذي هو انتن من الجيفة ويكون خوضهم فيه على قدر اعمالهم حتى ان بعضهم يلجمه العرق إلجاما وسؤال الملائكة لهم عن اعمالهم وتقريعهم فيها وشهادة اعضائهم وجلودهم والارض والحفظة الكرام عليهم ولا يصيب شيء من تلك الاهوال الانبياء والاولياء وسائر الصلحاء ثم بعد شتداد اهوال الموقف يشفع سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة العظمى وهي شفاعته في فصل القضاء بين جميع الخلائق عند ما يشتد الهول عليهم ويطول وقوفهم فيستشفعون به فيشفع لهم عند ربه

فى ذلك و بعد ذلك له شفاعات كثيرة منها شفاعته فى ادخال قوم الجنة بغير حساب ومنها شفاعته فى عدم دخول النار لقوم استحقوا دخولها ومنها فى اخراج العصاة الموحدين من النار ومنها فى زيادة الدرجات فى الجنة لاهلها ومنها غير ذلك كما جاء فى الاحاديث الشريفة و يشفع غيره عليه السلام من الانبياء والرسل والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والاولياء و يأخذ العباد صحفهم وهى كتبهم التى كتبت فيها الملائكة ما فعلوه فى الدنيا وتوزن أفعال العباد بميزان وجمهور المفسرين على أن الموزون هى الكتب التى اشتملت على اعمال العباد بناء على أن الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر ويجب علينا الايمان بالوزن والميزان وتفويض علم حقيقة ذلك الى الله تعالى وتحاسب الخلائق أى يوقف الله تعالى الخلائق على أعمالهم خيرا كانت اوشرا قولا كانت أوفعلا تفصيلا بعد اخذهم كتبها و يكون الحساب للمؤمنين والكافرين ويستثني من ذلك من وردت الاحاديث باستثنائهم ثم يمر الخلائق على الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الاولون والاخرون وهو طريق الناس الى الجنة فالمؤمنون الطائعون والذين غفرت سيئاتهم يمرون عليه و يخلصون الى الجنة والكفار و بعض عصاة المؤمنين الذين حكم عليهم بالعذاب فى جهنم مدة يسقطون فى نار جهنم فى حال مرورهم على الصراط ومرور الناجين مختلف فى السرعة والبطء حسب مقاماتهم والحكمة فى المرور

على الصراط ظهور النجاة من النار وأن يتحسر الكفار بفوز المؤمنين
بعد اشتراكهم فى المرور ومما اشتمل عليه يوم القيامة وجود حوض
عظيم لسيدنا *(محمد)* صلى الله تعالى عليه وسلم يرده المؤمنون
و يشربون منه عند العطش الاكبر ثم ان الله تعالى خلق دارين عظيمتين
احداها دار النعيم وهى الجنة وفيها من النعيم الذى اعده الله تعالى لعباده
المؤمنين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وثانيتهما
دار العذاب وهى جهنم أعد الله تعالى فيها من العذاب للكفار والعصاة
ما ترجف عند ذكره القلوب وتقشعر الجلود أعاذنا الله تعالى منها وهاتان
الداران مخلوقتان وموجودتان كما دلت على ذلك الآيات والاحاديث وبعد
انقضاء حساب الخلائق ومرورهم على الصراط يدخل الجنة المؤمنون
الطائعون من جميع الامم وعصاة المؤمنين الذين غفرت سيئاتهم او ادركتهم
شفاعة و يدخل جهنم الكفار وعصاة المؤمنين الذين حكم عليهم بالعذاب
مدة اما الكفار فلا يخرجون منها ابدا واما العصاة المؤمنون فلهم
الخروج منها ودخول الجنة بعد انقضاء مدة عذابهم أو بنوالهم شفاعة ثم
يدوم اهل الجنة خالدين فى الجنة وأهل النار الكفار خالدين فى النار ابد
الآبدين ودهر الداهرين وكل ما مر فقد ثبت بالايات الكريمة والاحاديث
الشريفة وهو مذهب أهل السنة والجماعة و يجب الايمان به على كل مكلف
شرعا والله تعالى اعلم

(توضيحات يندفع بها بعض الشبه الواردة)

(على مامر في هذا المقام)

إعلم انه قد ترد بعض الشبه على بعض ماذكرهنا في هذا المقام ولكن هي عند من يؤمن بوجود الله تعالى وعظيم قدرته وواسع علمه و يعتقد أن الله تعالى هو الذى أوجد هذه الاكوان من العدم وصورها على صور تشتمل على دقائق الحكم لا يصعب عليه الايمان بجميع مامر ولا رد لتلك الشبه عن عقيدته بقاطع البرهان وواضح التبيان وأما من لم يكن مؤمنا بوجود ذلك الاله العظيم فالصواب في حقه اولا أن تقام له الادلة على وجوده تعالى ثم بعد ذلك تكشف شبهته في أمثال هذه العقائد وتوضيح رد تلك الشبه أن يقال إن الذى ثبت في النصوص الشرعية أن للانسان روحا تتعلق بجسده ويتسبب عنها حياته واذا فارقته بقبض اتلك لها حله الموت فبعض علماء الاسلام خاض في البحث عن حقيقة هذه الروح ولكن لم يقم معه برهان قاطع شرعي او عقلي على بيان حقيقتها وبعضهم وهم اهل الطريق الاسلم ترك الخوض في هذا البحث اذلم يرد عن الشارع دليل على حقيقتها بل قد ورد في الشرع مايشير الى ان ترك البحث عن حقيقتها هو الاولى وعلى طريقة هؤلاء العلماء يكفي في تصديق النصوص الشرعية الواردة في وجود الروح ان يعتقد المكلف ان لكل انسان روحا وهي شيء موجود الله اعلم بحقيقته وليس اقول

بوجوه ما يخالف العقل وعدم الاحساس به كما يقول بعض الجهلة بأ نا لا نرى
شيأ يخرج من فم الميت عند موته لا يقتضي عدمه اذ ربما يكون عدم
الاحساس به للطافته كالهواء اوكالاثير الذي يقول به الطبيعيون المتأخرون
اولدقته جدا كالحيوانات الصغيرة جدا التي توجد في المياه وكثير منها لا يرى
حتى بالجسيمات المرئي اولغير ذلك وكونه بتلك اللطافة أو الصغر وتنشأ عنه
الحياة لاغرابة فيه فكم من عقار أونبات لطيف أو صغير جدا انشأ عنه
حوادث عظيمة لا تحدها العقول وكذلك شرارة النار اذا لامست كمية
كثيرة من الاجسام القابلة للالتهاب وكما في الجزء الصغير من السم اذا دخل
الجسد وما يحدث عنه وأمثال ذلك كثير مما هو لطيف اوصغير تنشأ عنه
حوادث عظيمة فلاغرابة في تسبب الحياة في الجسد عن الروح وان كانت
أمرا لطيفا اوصغيرا جدا لاسيما ان الحياة لا تنشأ عن الروح بطبيعتها بل بخلق
الله تعالى والروح انما هي سبب عادي فلا اشكال في ذلك اصلا ثم وان تكن
الروح بتلك اللطافة او الصغر فلا مانع ان يجعل الله تعالى للملك قدرة على قبضها
واخراجها من الجسد ألا ترى المغناطيس قد جعل الله تعالى فيه خاصية جذب
الحديد فيجذب الطف وادق برادة منه ولو لم تر بالعين ولا بمجسمات المرئي
وكل ذلك من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فلا
شيء يوجب الاشتباه ثم لما وردت نصوص الشريعة بوجوب اعتقاد البعث
أي ان الله تعالى يعيد الاموات يوم القيامة ويحييهم كان المشركون في

عصر الرسول عليه الصلاة والسلام يوردون الشبه على القول بالبعث ويقولون كيف يحيى الله تعالى الاموات بعد مفارقتهم الحياة وفنائهم وتفرق أجزائهم بين اجزاء الارض فكان القرآن الشريف يرد عليهم تلك الشبه في آيات كثيرة معناه ان الله تعالى تام القدرة كامل العلم لا يعجزه شيء مهما كان عظيما ولا يخفى على علمه شيء مهما كان دقيقا خفيا والذي أوجد الكائنات من العدم بذلك الاتقان والاحكام هو قادر على اعادة الاموات بعد الفناء وإحيائهم للحساب والجزاء ويضرب لهم سبحانه الامثال التي تقرب ذلك لعقولهم بأن الله تعالى يحيي الارض بعد موتها بانزال المطر عليها فتصبح مخضرة مزهرة مبهجة بعد ان كانت قاحلة يابسة لا ترى فيها اثرا للحياة الى غير ذلك من الامثال التي ترفع عنهم شبه البعث التي قامت عندهم ثم ان علماء الشريعة الاعلام لما وجدوا للفلاسفة المنكرين للبعث شبها اخرى يزعمون فيها حصول محالات عقلية على القول بالبعث قال اولئك العلماء رحمهم الله تعالى ان الواجب شرعا على كل مكلف ان يعتقد بحصول البعث والاعادة وان ذلك يحصل على وجه لا يستلزم محالا عقليا والله أعلم بكيفية ذلك ولا لزمنا لصحة الايمان بالبعث ان نبين الكيفية التي يجريها الله تعالى في امر البعث بل نفوض علمها اليه تعالى ولكن للمحافظة على افكار الضعفاء في الدين من الاضطراب نقول في توضيح ذلك من الممكن ان المعاد من الجسم بالبعث هو جميع أجزائه الاصلية أي الباقية من أول العمر الى

آخر لا الاجزاء الفضلية التى تتكون فى الجسم من الاغذية ثم تتحلل ويخلفها غيرها وهلم جرا واذا كان الامر كذلك فما المانع من ان الله تعالى العظيم القدر الواسع العلم يحفظ تلك الاجزاء الاصلية للانسان بعد موته من التفرق ومن زوال صورتها ومن دخولها فى اجزاء اصلية لحيوان آخر يأكل انسانا وان دخلت فى تركيب الاجزاء الفضلية لذلك الحيوان فتنفصل عنها عند انحلالها بموت ذلك الحيوان ثم عند الاعادة والبعث يعيد الله تعالى تعلق الروح بتلك الاجزاء الاصلية للانسان ويضم اليها أجزاء فضلية يكمل بها مقدار الانسان وهيكله كما كان قبل الموت سواء كانت تلك الاجزاء عين ما كانت قبل موت الانسان أو غيرها ويكون الاحساس بالتنعم والتعذيب انما هو لمجموع الروح ولهذه الاجزاء الاصلية ويصدق على هذه الكيفية انها اعادة اذ قد اعيد تعلق الروح بالاجزاء الاصلية التى هى حقيقة الانسان بعد ان فارقتها وأعيد لهذه الاجزاء الاصلية الحياة واعيدت اليها أجزاء فضلية كمل بها هيكل الانسان الذى كان قبل الموت واذا كان الحال كذلك فلا يقال من شبه أولئك الفلاسفة ان الانسان المنعم أو المعذب هو غير الذى كان قبل الموت ولا يقال إن الروحين تتعلقان بجسد واحد فيما اذا أكل انسان انسانا وصار بالاغتذاء واحدا ولا يقال أن مادة واحدة حاصلة لاناس كثيرين حيث أن المشاهد على ظاهر الارض أجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع فى الارض

زروع كثيرة وغرس فيها أشجار واغتذى منها الناس وانعقد ذلك في أبدانهم لحما ودما لا نامع جميع ذلك القول ان الاجزاء الاصلية التي كانت مع الروح المتعلقة بها قبل الموت اسا ناهي سينها مع الروح المتعلقة بها عند البعث ذلك الانسان بعينه وقدرة الله تعالى وعلمه يصلحان لاجراء هذه الكيفية التي لا تضمن محالا أصلا وعدم احساسنا بها لا يستلزم عدمها اذ يحتمل أننا نشاهد تفرق الاجزاء الفضلية ولا نشاهد الاجزاء الاصلية التي هي حقيقة الانسان اما لدقتها واما للطافتها واما لغير ذلك وكم من العوالم لم تزل في حيز الخفاء محجوبة عن حواسنا ولا مانع ان تكون هذه من هذا القبيل والملخص ان نصوص الشريعة نطقت بالاعادة والبعث فنحن نؤمن بذلك ونعتقد انه سيكون على وجه لا يستلزم محالا ولا يلزمنا بيان الكيفية على وجه التفصيل وان احتجنا الى هذا البيان نجد ان مثل تلك الكيفية التي قررناها كافية وافية في اقناع العقول ودفع الشبه كما لا يخفى على المتأمل المنصف وان كنا غير مكلفين بايجاد هذا التفصيل الذي شرحناه بل الذي تكلفنا به الايمان بالبعث على وجه لا يستلزم محالا كما تقدم ثم نقول وفي القول بالاجزاء الاصلية التي مر شرحها تندفع الشبه عن نعيم القبر وعذابه اللذين وردت بهما النصوص الشرعية اذ يقال ما المانع ان الله تعالى يجعل للروح تعلقا خاصا بتلك الاجزاء الاصلية بحيث تحس بالنعيم او العذاب وهي في القبر ونحن وان كنا نشاهد الجسد قد تفرق وتلاشى

ولا حياة فيه فتلك الاجزاء الاصلية يجرى فيها التنعيم والتعذيب ولا نرى شيأ من ذلك لخفائها عن ابصارنا لدقتها وللطافتها وكذلك تندفع الشبه الواردة على ما جاء من نصوص الشريعة ان بعض الناس هم احياء عند ربهم يرزقون كالشهداء فانه يقال ايضا لا مانع ان الله تعالى يجعل لارواحهم تعلقا خاصا باجزائهم الاصلية بحيث تكون حية حياة تقبل الرزق والتنعيم بنوع مخصوص هو الذى اخبرت عنه النصوص وان كنا لا نرى ذلك وكل ذلك من الجائزات العقلية التى لا تستلزم محالا وداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى ومن اطلع على ما يقوله المتاخرون من الطبيعيين فى احوال الحيوانات الصغيرة التى لا ترى الا بالمكبرات المجسمات للمرئى من ان لها ادراكا واحساسا وسعيا على معاشها واحتراسا على حياتها ومقاتلة لبعضها البعض واحتيالا على تحصيل رزقها وغير ذلك لم يستبعد ما قررناه فى حق الاجزاء الاصلية للانسان وقبولها لتعلق ارواحها بها واحساسها بما يريده الله تعالى لها من نعيم او عذاب من غير ان نشعر نحن بشىء من ذلك والله على كل شىء قدير ثم ما ورد من ان اعضاء الخلق وجلودهم والارض تشهد عليهم هو من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى كما تقدم توضيح نظيره فى ان معجزات الرسل من ان منها نطق الجمادات فحيث ان الله تعالى هو الخالق لصفة الكلام فى الانسان ولا يتوقف خلقه لها على حياة ولا غيرها كما اقيم على ذلك البرهان فلا مانع انه تعالى يخلق فى تلك الاشياء

الكلام وتشهد على العصاة بعمالهم وحكمة ذلك تخويف العباد من ارتكاب المعاصي عندما تخبرهم الرسل ان اعضاءهم وجلودهم والارض التي يعصون عليها تشهد عليهم يوم القيامة وايضاظهار عظمة قدرة الله تعالى في ذلك اليوم وظهور بالغ حجته على العباد ولله الحجة البالغة ثم ان الصراط الذي يمد على متن جهنم لمرور الناس عليه كما تقدم شرحه ليس فيه شيء يستبعده العقل لكن في بعض روايات وردت في وصفه ليست من الروايات المتواترة وان اشتهرت ان الصراط يكون ادق من الشعرة وأحد من السيف وهذه الكيفية قد يستبعدها بعض الضعفاء وان كانت من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة القادر العظيم ، مع ذلك فقد نازع في صحة ذلك بعض العلماء الاعلام كالعز بن عبدالسلام والشيخ القرافي والبدر الزركشي كما نقله الباجوري على الجوهرة قالوا وعلى فرض صحة الرواية فهو محمول على غير ظاهره بان يؤول بانه كناية عن شدة المشقة زاد القرافي ان الصحيح ان الصراط عريض وله طريقان يمنى ويسرى فاهل السعادة سلك بهم ذات اليمين واهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وعلى هذا التقرير فلا اشكال يبقى هنا حتى على افكار الضعفاء ويكفي المكلف الايمان بوجود الصراط ولو على هذه الكيفية والله تعالى اعلم

ثم مما تقدم في العلامات الكبرى ليوم القيامة طلوع الشمس من

مغربها والذي ورد في ذلك الحديث الشريف انها تطلع من مغربها حتى تتوسط السماء ثم تعود فتغرب في جهة المغرب وتستمر بعد ذلك على عادتها الاصلية وهذا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فمن يؤمن بوجود الله تعالى وعظيم قدرته لا يصعب عليه الايمان بذلك وقد مر توضيح جواز هذا الامر في نظيره من وقوف الشمس ورجوعها معجزة لسيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم ولسيدنا يوشع عليه السلام عند بيان معجزات الرسل وقررنا ذلك هناك باوضح بيان فارجع اليه ان شئت في فصل المعجزات والله تعالى أعلم

ثم مما تقدم ايضا من تلك العلامات خروج يأجوج ومأجوج وهما أمتان عظيمتان قد جاء ذكرهما في القرآن الشريف وان ذا القرنين سد عليهما طريق خروجهما من أرضهما بالسد الذي اصطنعه وان ذا القرنين قال ما معناه ان هذا السد اذا جاء وعد ربي جعله دكاء اي منهدما وفسر المفسرون مجيء وعد الله بمجيء يوم القيامة اي قربه وقد جاءت احاديث صحيحة بتفسير خروج ياجوج وماجوج في آخر الزمان وان ذلك من علامات القيامة الكبرى فوجب على كل مكلف الايمان بذلك وما يقال من ان علماء الجغرافيا قد ساحوا الارض ولم يعثروا على محل ياجوج وماجوج فهو كلام لا يمنع صدق تلك النصوص الشرعية الواردة بوجودهم في الارض وبيان ذلك انا نقول أولا لا نسلم أن الجغرافيين ساحوا جميع

بقاع الارض ولم يدعوا بقعة منها الا وردوها وانما ساحوا البقاع المكونة او القريبة منها وكم من بقاع كثيرة واودية وجبال توجد فى اطراف الارض لم تطأها اقدامهم لا سيما فى الاطراف الشمالية خلف جبال الجليد ونهاية المنطقة المتجمدة الشمالية كما يعلم ذلك من الاطلاع على شروحهم المسطورة فى كتبهم وال ها تين الامتين توجدان فى بعض بقاع الاطراف التى لم يصل اليها احد من اهل الجغرافيا وثانيا قد قال علامة المفسرين الامام الرازى رحمه الله تعالى ان الاظهر ان موضع السد هو فى ناحية الشمال ولا يخفى على العارف بتخطيط الارض ان جهات الشمال بعد سير يأ توجد جبال جليدية لا تنقطع عنها الثلوج فى جميع الفصول ولا يمكن لاحد فى هذه العصور سلوكها ومن المعلوم ايضا انه يوجد مدها مسافة من الارض ممتدة الى انتهاء الارض وحينئذ نقول ما المانع انه يوجد خلف تلك الجبال ارض منخفضة عنها بحيث يتسبب عن انخفاضها خفة الثلوج عنها بحيث تصلح لسكنى البشر وان يكون يأجوج ومأجوج ساكنين فى تلك الاراضى المنخفضة ومن الجائز ان يكون فى زمان ذى القرنين الذى مضى عليه الى هذا الزمان ألوف من السنين يوجد واد منخفض موصل لملك الاراضى وطريق لها وكانوا يخرجون منه للامم المجاورين لهم خارج تلك الجبال ويقاتلونهم فسد عليهم ذو القرنين مسلك ذلك الوادى وحصرهم خلف تلك الجبال وصاروا غير قادرين على الخروج من الوادى

لوجود السد ولا يمكنهم تسلق الجبال لوجود الثلوج عليها ثم بعد ذلك حدثت حوادث جوية وتتابع نزول الثلوج حتى سدت ذلك الوادى وملأته حتى ساوته بالجبال التى حوله وخفى اثره ثم عند قرب يوم القيامة يذوب الثلج منه باسباب جوية او ارضية كالزلزلة و يتيسر للامتين المذكورتين هدم السد والخروج من ذلك الوادى طبق ماجاءت به النصوص الشرعية ووجود الحوادث الجوية التى توجب تراكم الثلوج فى بعض الاماكن مئات من السنين ثم زوالها لحوادث اخرى غير مستحيل لاعقلا ولا عادة بل اذا فتشنا التاريخ نجد لذلك شواهد ظاهرة كثيرة على وجه الارض وقدرة الله تعالى صالحة لاجراء تلك الاعمال كلها وانمام ذلك التدبير وحيث كان ذلك جائزا داخلا تحت تصرف القدرة الالهية وقد وردت النصوص بخروج هاتين الامتين فى آخر الزمان فنحن نؤمن بذلك ونصدقه و بما قررناه ارتفعت الشبهة التى مستندها سياحة الجغرافيين هذا واما ما يذكر فى بعض الكتب ان محل ياجوج وماجوج فى المحل الفلانى من الاقاليم القريبة المعمورة وان الملك الفلانى الاموى او العباسى ارسل الى السد من نظره الى غير ذلك من الاخبار فهي من تاليفات القصاص لا اصل لها يعتمد عليه وان اغتر بنقلها بعض المؤلفين والله تعالى اعلم * ثم مما ذكر فى تلك العلامات ليوم القيامة نزول سيدنا عيسى عليه السلام من السماء وهو امر جائز عقلا كما ان صعوده الى السماء عند ما طلبته

اليهود لتقتله هو امر جائز ايضا ولا يترتب على ذلك ادنى محال فما المانع ان الله تعالى يصعده و ينزله بواسطة الملائكة الذين اعطاهم الله تعالى القدرة على الصعود والهبوط بين السماء والارض كما يأتى بيان ذلك و يحفظ الله تعالى حياته من جميع ما يتوهمه المتوهمون فى حق من يصعد الى فوق كرة الهواء فان احتياج الانسان لتنفس الهواء ماهو الا امر عادى والله تعالى قادر على حفظ الحياة بدونه وكذلك من تلك العلامات خروج الدابة التى تكلم الناس هو امر جائز والله تعالى قادر على اعطاء الدابة صفة الكلام وكذلك وجود الدخان فى الارض اربعين يوما كل ذلك من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القدرة الالهية لاشيء من ذلك يستلزم محالا فنؤمن بجميع ذلك و نصدق به ولله تعالى حكم فى جميع ما تقدم من احوال البعث والسؤال والميزان والصراط وغير ذلك تجد كثيرا منها مذكورا فى مطاوى كلام علماء الاسلام والله يتولى هدانا اجمعين

ولنختم هذا الباب بذكر ادلة عقلية على حصول البعث والجزاء وهى وان لم تكن برهانية قاطعة فهي اقناعية تذعن عندها العقول وتطمئن لها القلوب و بتواردها بمجموعها على الفكر يجزم العقل بوقوع البعث والجزاء ولا يعير للشك اذ نا صاغية اعلم ان البعث والجزاء وان كان المشهور ان دليل جوازهما عقلى كما علمته مما مر ودليل حصولهما بالفعل شرعى وهو النصوص الشرعية الواردة فى القرآن الشريف والحديث المنيف لكن

اذا دقق النظر وجد أن لحصولها دلائل عقلية اقناعية تطمئن لها القلوب كما قلنا فاستمع ما يتلى عليك من كلام العلماء الاعلام فى ذلك فنقول انه بعد اقامة البراهين القاطعة على وجود الله العالم واتصافه بصفات الكمال من الحكمة والعدل والرحمة لخلقه لا شك ان كل معتقد لذلك يظهر له أن من حكمته تعالى وعدله بعد أن خلق الخلق وأعطاهم عقولا يميزون بها بين الحسن والقبيح وقدرة بها يقدرون على الخير والشر أن يمنعهم عن سوء اعتقادهم به وعن الجهل والكذب وايذاء الصالحين من خلقه وغير ذلك من القبائح ويرغبهم فى عمل الخير واتصافهم بالاخلاق الفاضلة التى ينتظم بها معاشهم ومن المعلوم ان هذين الامرين لا يتمان الا بربط عمل الخير بالثواب وعمل الشر بالعقاب وغير حاصل فى دار الدنيا فلا بد من دار اخرى يحصل فيها ذلك ولا يقال انه يكتفى فى الترهيب والترغيب بما اودع فى العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات لان الهوى والنفس يدعوان الانسان الى الانهماك فى الشهوات الجسمانية واللذات الجسدية واذا حصل هذا التعارض بين ما تدل عليه العقول وبين الهوى والنفس فلا بد من مرجح قوى ومعاضد كامل وما ذلك الا ترتيب الوعد والوعيد والثواب والعقاب على الفعل والترك

ثم من حكمة السلطان الحكيم الرحيم أن يبعث نفوس رعيته للعطف على الفقراء ليعينوهم بشىء من الاموال على مصالح معاشهم والانفاق الاغنياء

أن تكون لك الاعانة منهم على وجه الرغبة وانشراح الصدر وبذلك يصلح حال الفقراء و يندفع عنهم الشقاء و يفارقهم العناء فى الجملة وحيث ان النفوس مفطورة على حب المال ولا يسمح بصرف شيء منه الا اذا وجدت عوضا هو خير منه فكان من حكمة الله تعالى أن يجعل دارا غير هذه الدار يكافىء فيها بالخير المصدقين على الفقراء والمساكين ويجازى مانعي الصدقات والزكوات بما يستحقون فاذا علم الاغنياء بوجود دار أخرى وأنهم يكافؤن فيها على الصدقة بعشر أمثالها فحينئذ ينفقون على الفقراء والمساكين برغبة وانشراح صدور لما يرجونه من نوال الاجور بل يرغبون أيضا فى الصدقات الجارية التى لا تنقطع فيرصدون الاوقاف الجسيمة و يشيدون للصلوات والاذكار واطعام الطعام المساجد والزوايا والتكايا العظيمة فينتج عن ذلك من الخيرات ما لا يدخل تحت الحصر وكل ذلك ناشيء عن الرغبة فى نعيم الدار الآخرة والنجاة من عذابها ولولا ذلك لما كان من تلك المآثر الخيرية الا أقل القليل ثم ان السلطان العادل الحكيم الرحيم اذا كان له جمع من الرعية وكان بعضهم أقوياء و بعضهم ضعفاء كان من حكمته وعدله و رحمته ان ينتصف للمظلوم الضعيف من الظالم القوى والله سبحانه وتعالى سلطان حكيم عادل رحيم فمن حكمته وعدله و رحمته ان ينصف لعبيده المظلومين من عبيده الظالمين وهذا الانتصاف لم يحصل فى هذه الدار لاننا نرى المظلوم قد يبقى فيها فما نافى

غاية الذلة والقهر مسلوب المال مفضوح العرض والظالم يبقى فى غاية العزة والقدرة فلا بد من دار أخرى يظهر فيها هذا العدل وهذا الانصاف ثم انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان الانسان أخس من جميع الحيوانات فى المنزلة والشرف وبيان ذلك أن مضار الانسان فى الدنيا أكثر من مضار جميع الحيوانات فان سائر الحيوانات قبل وقوعها فى الآلام والاسقام تكون فارغة البال طيبة النفس لانه ليس لها فكر وتأمل أما الانسان فبسبب ماله من العقل يتفكر أبدا فى الاحوال الماضية والاحوال المستقبلة فيحصل له بسبب أكثر الاحوال الماضية أنواع من الحزن والاسف ويحصل له بسبب أكثر الاحوال الآتية أنواع من الخوف فثبت أن حصول العقل للانسان سبب لحصول المضار العظيمة فى الدنيا والآلام النفسانية الشديدة القوية أما اللذات الجسمانية فهى مشتركة بينه وبين سائر الحيوانات لان السرقين فى مذاق الجعل طيب كما أن أفخر الحلويات فى مذاق الانسان طيب فلو لم يحصل للانسان معاد به تكمل حالته وتظهر سعادته لوجب أن يكون كمال العقل سببا لمزيد الهموم والغموم والاحزان من غير جابر يجبر ذلك ومعلوم أن كل ما يكون كذلك فانه يكون سببا لمزيد الخسة والدناءة والشقاء والتعب الخالية عن المنفعة فثبت أنه لولا حصول السعادة الاخروية لكان الانسان أخس الحيوانات حتى الخنافس والديدان ولما كان ذلك باطلا قطعا علمنا أنه لا بد من الدار الآخرة والانسان خلق الاخرة

لا للدنيا ثم ان هذه الدار هي كالمميز بين الاخيار والاشرار ليجزى الاولون بالثواب والاخرون بالعقاب لان كل من كان شريرا فالنار أولى به ويكون حظه من الوجود ما يحصله من لذات هذه الدار الفانية فلذلك نراها موفورة لكثير من أهل الزيغ الاشرار منغصة على كثير من أهل الايمان الاخيار ومن هذا المقام يعلم ان مذهب المنكرين للمعاد من الكفار شر لا يماثله شر لانه يلزم عنه انه لا حلال ولا حرام أصلا ومع هذا يمتنع العمران وقولهم بان نظام العالم يكمل بمعرفة الانسان ماله من الحقوق وما عليه من الواجبات الانسانية وهذه المعرفة تكمل له بالعلم الصحيح التام العام نقول في جوابه انهم قد غفلوا عن ان الاهواء والشهوات وحب اللذات لا يقاومها حدود القوانين التي يقيمها العلم السياسي فلا بد من وازع آخر ينزع النفوس عن المضار ومرجح يرجح اتباع طريق الخير وهجران سبيل الشر وهو الايمان بالمعاد والمكافأة على الاعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر ولا فليتأمل العاقل في الانسان اذا كان يعتقد انه مثل نبات الارض ينبت ثم يزول لا الى رجعة وليس له حظ من وجوده الا لذاته الحيوانية التي ينالها مدة حياته فهما سن له العلم السياسي من الضوابط لمعرفة ماله وما عليه فاذا قدر على قتل سواء وأخذ ماله الذي يبلغ الملايين بدون ان يطلع عليه أحد من الناس او هتك اشرف عرض ولو لم يتم لذة بدون اطلاع أحد فهل يظن ان تلك القوانين التي سنها العلم السياسي تردعه عن ارتكاب ذلك لا يقول بذلك الا مكابر ومن المعلوم ان الانسان

مفطور على حب ذاته فمن يدرى به حق الدراية لا يأمن له فى شىء الا اذا وجده مرتبط بالدين وانا نرى ان بعض الامم تعتقد المعاد ويظهر فيها من بعض افرادها مايظهر من الفساد فكيف يكون حالها لو نسخ هذا الاعتقاد منها فبلاشك أن فسادها يصير عظيما جدا على اننا نرى الامم الى انتشر بينها العلم الدنيوى لاسيما السياسى فى هذا الزمان لاتزال آخذة فى سبيل الشرور بل كلما ازداد ذلك العلم بينها ازدادت شرورها وفشا بينها الزنا الذى يضيع الانساب ويحل عقد التناصر وقتل النفس والانتحار وازالة العقل بالمسكرات والاحتيال بفنونها وصنائعها على سلب الاموال والغش والخديعة وكثير من الاخلاق المخلة بنظام الهيئة الاجتماعية وماذلك الا لان علومها التى برعت فيها ليس لها فى اعتقاد المعاد نصيب وبالظن ان تلك الامم لولا بقية من اعتقاد المعاد قائمة بينها لوجدناها قد هوت للدمار وأخذت تنمحى من لوح الوجود ومما يضحك الثكلى ان القوم الذين ينكرون البعث والمعاد لما لاحظوا أن العلم لا يتكفل بنظام الهيئة الاجتماعية الا اذا كان تاما عاما فى جميع الافراد الانسانية اشترطوا فى تكفله بذلك ان يكون تاما عاما ثم قالوا لا بد من ذلك يوما ما الا ان ذلك بعيد جدا وربما يلزم له ألوف من الاجيال فهم فى رفضهم لاعتقاد المعاد وتمنيهم فى العلم هذه الاماني الواهية مثل الطبيب الاحمق الذى يقول للمريض بالمرض القتال اترك الحمية وكل ماشئت وانى بعد كذا وكذا من السنين آتيك بدواء يكون به شفاؤك فالى

يأتيه ان بذلك الدواء يكون المريض قدهلك واصبح عظاما نخرة على انه ليس من حسن التدبير وكياسة الرأى والاخذ بالحزم مع عدم اعتقاد أولئك المنكرين للمعاد أن يجاهروا به بين العموم حتى يروا أن العلم الذى يزعمونه بمجرده متكفلا بحفظ نظام العالم قدتم وعم والا فهم بمجاهرتهم بهذا القول الباطل قد فتحوا باب الدمار على العالم ونعوذ بالله تعالى ان يسيع هذا الفكر بين الامم ومعاذ بالله تعالى ان يشيع والمقول تاباه هداه الله واياهم لما فيه من خير الانام والنصيحة لهؤلاء المنكرين أن يأخذوا بالحزم والاحتياط وتصوروا انهم اذا صدقوا المعاد وتاهبوا له فاذا كان حقا نجوا وان كان باطلا لم يضرهم هذا الاعتقاد غاية ما فى الباب ان يقال انه تفوتهم اللذات الجسمانية لكن هذه اللذات يجب على العاقل ان لا يبالى بها لامرين احدهما انها فى غاية الخساسة لانها مشترك فيها الخنفساء والديدان والثانى انها منقطعة سريعة الفناء والزوال فالحرص عليها لا يساوى ترك الحزم والاحتياط فى امر الذى تخشى عواقبه والله الموفق

(الباب الثالث)

«فى رد شبهة عن نصوص شرعية تعتمد فى الاعتقاد او التوفيق»
« بينها وبين ما يثبت بالدليل العقلى القاطع مما ينافى المعانى »
« الظاهرة لتلك النصوص وفيه اربعة فصول »

اعلم اننا فى هذا المقام نحتاج الى ثلاث مقدمات

(المقدمة الاولى)

ليعلم أن النصوص الشرعية التي يعتمد عليها في الاعتقاد كما يعتمد عليها في احكام العبادات واحكام المعاملات هي الآيات القرآنية و بعض احاديث نبوية ثبت نقلها عن الرسول عليه الصلاة والسلام ثبوتا قطعيا تسمى بالمتواتر أو بعض أحاديث ثبت نقلها عنه عليه الصلاة والسلام ثبوتا قويا من القطعي يوجب طمانية القلب والطمانية هي فوق الظن ودون اليقين وتسمى هذه الاحاديث بالمشهورة ثم ان كل نص من هذه النصوص يجب علينا ان نعتمد فيه معناه الظاهر المتبادر منه ولا يسوغ لنا تاويله وصرفه الى معني اخر غير متبادر الا اذا قام دليل عقلي قطعي يناقض معناه الظاهر فحينئذ يكون قيام ذلك الدليل العقلي قرينة دالة لنا على ان معناه الظاهر غير مراد الشارع بل مراده معنى اخر غير ما يتبادر منه فتؤول النص حينئذ ونصرفه الى معنى آخر غير الظاهر المتبادر على سبيل الاحتمال يكون قابلا له وغير مناقض لذلك الدليل العقلي القطعي هذه هي القاعدة الكلية في النصوص الشرعية التي اعتمدها أهل السنة والجماعة وانما لم يجوزا ارادة غير المعنى الظاهر من النص الا لداع يدعو اليه لان الاصل في التخاطب ارادة المعنى الظاهر المتبادر دون خلافه اذ ارادة غير الظاهر من غير داع ولا قرينة يكون خللا في الافادة والاستفادة وفي ذلك من المفاسد ما لا يخفى وانما

انحصر الداعي الى ترك الظاهر بمعارضة الدليل العقلي القاطع لان رفض هذا الدليل رفض للاصل الذي ثبت به صدق الرسول عليه الصلاة والسلام وهو العقل اذ لولاه لما أمكننا الاستدلال على صدقه عليه السلام بدلائل المعجزات ورفض العقل موجب رفض الشرع وأما معارضة الدليل العقلي الظني فلا تكون داعيا لترك الظاهر من معنى النص لان رفض الدليل الظني لا يوجب رفض العقل كما هو واضح لاحتمال ان هذا الظن باطل في نفس الامر فلو تركنا الظاهر من النص لاجل الدليل الظني لكنا في معرض أن يكون اعتقادنا خطأ لاعتمادنا على الظن وحينئذ لا نعذر في ذلك اذ لا ضرورة تدعونا اليه كما تدعونا الضرورة عند معارضة الدليل العقلي القطعي على أن اتباع الدليل الظني وترك ظواهر النصوص يوجب اختباطا واختلاطا في الاعتقاد لا يحد فان الظنون كثيرة والاعتقاد في الشرائع انما يعتمد فيه اليقين فكان الصواب ان يتمسك بظواهر النصوص اليقينية الورود ولا يتحول عنها لمجرد الظنون

ثم قد يوجد في الاحاديث النبوية نصوص لا تتوفر في نقلها عن الرسول عليه السلام الشروط التي تبلغ بها درجة المتواتر او المشهور فلا يكون ثبوت ورودها يقينيا بل ظنيا وتسمى بالآحاد ويعتمد عليها في احكام العبادات والمعاملات ولا يجب ان يعتمد عليها استقلالا في الاعتقاد حيث انها ظنية والاعتقاد لا يعتمد على الظن ولكن اذا نقلها العدول وصارت معتمد الفقهاء

فى الاحكام لا يجوز انكارها حيث لم يعارضها معارض عقلى لئلا يجر ذلك الى انكار المتواتر والمشهور الموجب إنكارهما الكفر أو التضليل والعياذ بالله تعالى نعم اذا اكتنف الاحاد ما يقويها ويجعلها يقينية الثبوت فيعتمد عليها حينئذ فى الاعتقاد كما بيل فى حديث عذاب القبر والله سبحانه وتعالى أعلم

(المقدمة الثانية)

اعلم انه لا يجب علينا شرعا من الاعتقادات الا ما قام عليه الدليل العقلى القاطع الذى لا يحتمل النقيض أو ما قام عليه الدليل الشرعى بان نقل لنا عن الرسول عليه الصلاة والسلام اية قرانية وحديث متواتر أو حديث مشهور يدل على ذلك ولا يجب علينا تقليد غير الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام فيما ثبت عنه قطعيا وأما اذا نقلت لنا مسئلة اعتقادية عن اكبر علماء الامة الاسلامية من غير اظهار دليلها العقلى القاطع او دليلها الشرعى الثابت قطعيا عن الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يجب علينا تقليده فى تلك المسئلة لا سيما اذا كانت مناقضة لظاهر من ظواهر نصوص الشريعة التى نعتمد فى فى الاعتقاد بها اذا أول بعض العلماء الذين نعتمد عليهم فى فهم النصوص الشرعية بعض تلك النصوص بتاويل مناسب موافق للقواعد الشرعية والاصول العربية فالاخذ بتاويله سائغ غير مضر فى عقيدتنا اذا ظهر لتاويله داع قوى مثل الدليل العقلى القاطع الذى يحمل على التاويل

وصرف النص عن ظاهر معناه فانه حينئذ يكون الاخذ بتاويله هو الصواب ولا يقال انا قلدنا ذلك العالم في الاعتقاد وانما يكون اعتقادنا معتمدا على النص وقلدناه بفهم النص وتأويله لانه هو اعلم منا بذلك فمن هنا يظهر لك خطأ بعض أهل هذا العصر في تقليد فلان الفلكي او فلان الجغرافي او فلان الجيولوجي المشهورين في فنونهم في بعض مسائل ربما تكون مخالفة لظواهر نصوص الشريعة التي تعتمد في الاعتقاد فهذا الحال ربما يوقع هؤلاء المقلدين في الخروج عن الدين والعياذ بالله تعالى وهم لا يشعرون والذي يوقع أولئك المقلدين في تقليد فلاسفة هذا الزمان في تلك المسائل هو انهم نظروا ادلتهم في بعض مسائل فنونهم يقينية قطعية كادلتهم في المسائل الحسابية والهندسية وبعض التجربات الطبيعية المحسوسة فاغتروا بهم واوقعهم الوهم في اعتقاد ان كل ما يقوله أولئك الفلاسفة صواب يقيني الثبوت وانهم لا يعتمدون في ادلتهم في جميع فنونهم الا على اليقين ولم يدروا أنه يوجد فرق بين ادلة المسائل الحسابية وما ذكر معها وبين ادلة كثير من المسائل الفلكية مثلا بان تلك يقينية وهذه قد يوجد بينها كثير من الظنون والتخمينات وقياس الغائب على الشاهد الذي قد يكون في نفس الامر قياسا فاسدا وان قيل ان بعض تلك المسائل التي يقلد بها المقلدون فلاسفة هذا الزمان تكون مجمعا عليها عندهم قلنا انا معشر المسلمين لسنا مأمورين في شريعتنا بتقليد اجماع الاجماع هذه

الامة المحمدية اى اجماع علمائها الذين هم اهل الاجتهاد وفهم نصوص الشريعة حيث شهد لهم الرسول عليه الصلاة والسلام بانهم لا يجتمعون على ضلالة على ان اجماع هؤلاء الفلاسفة على بعض تلك المسائل قد يكون مبنيا على دليل ظنى فلا يفيد عصمة اجماعهم من الخطا لا سيما فى المسائل التى تكون بعيدة المصنوعات عنهم كما فى المسائل الفلكية والجوية فان معظم ادلتهم فيها الحدس والتخمين وقياس الغائب على الشاهد كما يعلم من الاطلاع على كتبهم التى تقرر فيها تلك المسائل ولنا عبرة فيما حدث على مذهب المتقدمين من الفلكيين فى وجود الافلاك وما لها من الاحكام فانه قد مرت عليه المئات من السنين وهم مجمعون عليه وكم الفوا فيه من الكتب وكم دونوا من الاصول والقواعد وكم صور وصور الافلاك وذكر ما له من الاحكام الطويلة العريضة فجاء المتاخرون وابطلوه من اصله وصار بينهم بعد خرافة من خرافات البشر اذا تقرر هذا فاعلم انه كان من حق اولئك المقلدين لفلاسفة هذا الزمان فى بعض المسائل المخالفة لظواهر نصوص الشريعة الاسلامية ان يبحثوا عن ادلتهم فيها ويطلعوا عليها فان كانت ظنية فلا يلقون لها بالا ولا يتركون اعتقاد ظواهر نصوص شريعتهم القطعية الثبوت عن رسولهم الصادق المعصوم وان كانت ادلة يقينية ولم يبق معها ريب فى دلالتها على ما يناقض ظواهر نصوص الشريعة فحينئذ يسوغ لهم تاويل تلك الظواهر والتوفيق بينها وبين تلك المسائل كما هو القاعدة

التى مر تقريرها عند اهل السنة والجماعة وان لم يكن أولئك المقلدون اهلا للتاويل فليرجعوا فيه الى علماء الدين الاعلام فيفهمونهم التاويل اللازم الجارى على قواعد الشريعة واصول اللغة العربية التى جاءت بها النصوص الشرعية ويامنون على ايمانهم الذى به سعادة الدارين والله الموفق

(المقدمة الثالثة)

إن الشريعة المحمدية بل وسائر الشرائع انما يقصد منها بيان ما يرشد الخلق الى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال والى كيفية عبادته واداء شكره والى الاحكام التى توصلهم الى انتظام المعاش وحسن المعاد واما تعريفهم بمباحث العلوم الكونية من كيفية خلق العالم وما هى النواميس القائمة فى السماويات اوفى الارضيات وامثال ذلك فليس شىء من نحو هذا من مقاصد الشرائع بل هذه المباحث هى معارف تتوصل الناس اليها بعقولهم فربما ينتفعون بها فى دنياهم وربما يكون حظهم منها مجرد الاطلاع والشرائع لا تلتفت اليها اولا وبالذات ولا تعتنى بتفاصيلها نعم قد تذكر شيأ منها مجملا على قدر ما يكون له دخل فى مقاصدها الاصلية فتذكر مثلا خلق السموات والارضين وابرازها من العدم واختلاف انواع المخلوقات فى تنوعات وكيفية تدبير الاكوان واعطاء كل منها نظامه على سبيل الاجمال لاجل ان يكون ذلك دليلا عقليا للناس على وجود إله العالم وعلى اتصافه بالعلم والقدرة والحكمة الى غير ذلك وقد تفصل

بعض تلك المباحث لداع يدعو الى ذلك يكون مرجعه الى مقاصدها اذا تقرر هذا فنقول

(الفصل الاول)

(فى رد الشبه عن النصوص الشرعية الواردة فى السماويات)
(والارضيات او التوفيق بينها وبين ما قام عليه)
(الدليل العقلى القاطع مناقضا لظواهرها)

اعلم انه قد ورد فى نصوص الشريعة الاسلامية التى تعتمد فى الاعتقاد ان الله تعالى خلق سبع سموات وخلق جسما كبيرا فوق تلك السموات يسمى كرسيا وجسما آخر فوقه يسمى عرشا وان بيننا وبين تلك الاجسام مسافات عظيمة كما ان بينها مسافات وانه تعالى خلق جسما كبيرا يسمى لوحا وجسما آخر يسمى قلما لاثبات ما يكون فى العالم وتسطيره لا عن حاجة الى جميع ذلك بل لحكم هو يعلمها سبحانه وانه خلق دارا تسمى الجنة أعدها لنعيم الطائعين ودارا أخرى تسمى جهنم اعدها لعذاب غير الطائعين بعد خراب عالم الارض والسموات وبعث الناس بعد الموت كما تقدم وانه خلق الكواكب وجعلها زينة السما الدنيا أى السماء القربى من الارض فقال بعض علماء الاسلام هى مركوزة فى نفس السماء وهو قول جمهور المفسرين وقال بعضهم هى دون السماء بينها وبين الارض وهو

منقول عن مكي وعن وهب ونقله في مختصر الهيئة السنية للقرماني عن كثير من المفسرين وغيرهم ونقل الشيخ مرعي الحنبلي في عجائب المخلوقات حديثا آحاديا عليه وكذلك نقل هذا الحديث ابو جعفر محمد بن عبد الله الكسائي في كتاب الملكوت ونقل الرازي اثرا عن كعب في تفسير سورة القدر صريحا في ان الشمس دون السماء الدنيا وعلى هذا القول فيكون معنى كونها زينة السماء الدنيا انها زينة لها بحسب مراى الناظرين اليها وان كانت تحتها وهذا لا يلزم منه ان تكون مركوزة في نفس السماء ولعل اصحاب هذا القول يتاولون قوله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) اي في السموات نظير هذا التاويل وورد ايضا من نصوص الشريعة ما يفيد ان كلا من الكواكب يسبح في فلك فقال بعض علماء الاسلام ان الفلك هو جسم يحمل الكواكب وقال بعضهم هو مداره اى الحيز الذي يسير فيه من الفراغ وهذا قول الضحاك كما في الرازي والذي عليه جمهور علماء الاسلام ان السماء مرئية لنا كما يستفاد من ظاهر بعض النصوص وقال بعضهم انها غير مرئية وانما المرئي الهواء نقله في عجائب المخلوق عن القاضي ابي بكر بن العربي ولا بد انه يؤول النص الذي يدل ظاهره على انها ترى بتاويل مناسب وورد ايضا في النصوص الشرعية ان الله تعالى خلق سبع ارضين فقال بعض العلماء ان المراد بها أقاليم ارضنا السبعة وقال بعضهم ان المراد طبقات الارض المتراكمة على بعضها وروى في بعض

الاثار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان كل ارض منها كارضنا وفيها عالم كعالمنا وورد من النصوص ما ظاهره أن الارض بسيطة كما في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهو مذهب جمهور علماء الاسلام وقال بعضهم انها كروية وممن قال بذلك الامام الرازي وتأولوا قوله تعالى (دحاها) بأنه جعلها صالحة لسكنى الحيوانات بعد ان لم تكن كذلك وظاهر بعض النصوص يفيد ان الشمس هي التي تسير كما قال تعالى (والشمس تجري لمستقرها) وقوله تعالى (وجدها تطلع) (وجدها تغرب) وكما يفهم من استعمال أهل الشرع في عصر (النبي) صلى الله عليه وسلم وبعده من قولهم طلعت الشمس وغربت الشمس وظاهر ذلك ان الارض ساكنة وان لم يرد تصريح بحركتها ولا بسكونها فيجب علينا معشر المسلمين الايمان بما تعطيه ظواهر هذه النصوص والاخذ بقول جمهور العلماء فيما فهموه منها وتأويل بعض العلماء المخالف للجمهور وان كان الاخذ به لا يضر في الدين بفساد الايمان لانه جار على تاويل مناسب ولكن حيث لم يظهر لنا داع قوي يدعو لذلك التاويل فالاخذ بقول الجمهور واعتمادنا على ما فهموه من النصوص يكون هو الموفق لقواعد الدين الاسلامي

فان قيل ان المتأخرين من الفلاسفة الفلكيين يدعون انهم بارصادهم وبوسائط الالات التي اخترعوها للنظر في احوال السماويات قد ثبت عندهم انه لا يوجد في الكون الا الكواكب وان ارضنا التي نحن عليها

هي كرة ومعدودة من جملة الكواكب وان الشمس واقفة في الوسط تدور فقط على محورها دورة ظاهرية والارض وجميع الكواكب تدور حولها بواسطة ناموس يسمى ناموس الجاذبية وان للارض كالغيرها من الكواكب دورتين دورة سنوية حول الشمس منها تتولد الفصول الاربعة ودورة يومية على محورها ومنها تتولد أوقات الليل والنهار بواسطة مقابلة نور الشمس تارة والاستتار عنه اخرى وان الذي نراه من الزرقة انما هو لون الجو وليس هو سموات اذلا وجود للسموات عندهم ولا يقولون بوجود أرضين غير هذه الارض وشاعت أقوالهم هذه وأخذ بها كثير من عامة الاسلام من غير التفات الى التوفيق بينها وبين النصوص الشرعية التي تقدمت فكيف يكون التوفيق وما الحكم في ذلك قلنا قد تقدم لك انه يجب علينا اعتقاد ظواهر النصوص الشرعية واعتمادما عليه الجمهور في فهم معانيها ولا يجوز لنا تأويل النصوص وصرفها عن ظواهرها الا لداع قوي وهو قيام الدليل العقلي القاطع المناقض لظواهر النصوص ولا يجوز لنا تقليد علماء الاسلام في امر الاعتقاد من غير ان يظهروا لنا دليلا عقليا او شرعيا فكيف بمن سواهم على هذا فمن بلغه منا معشر المسلمين اقوال أولئك الفلكيين المتأخرين من غير دليل عقلي قاطع يثبت كل مسئلة من المسائل التي ادعوها فيما تقدم او بدليل ظني لا يفيد اليقين فعليه ان لا يلتفت لكلامهم ولا يتحول عن اعتقاد ما تطلبه ظواهر

النصوص الشرعية التي نقلها ولا يهمل اعتقاده على مافهمه جمهور علماء الاسلام منها هذا الواجب عليه والحافظ لإيمانه من الاختلال واما اذا بلغ احدا منا كلامهم المتقدم مع اقامتهم له الدليل العقلي القاطع الدال على كل مسألة من المسائل المذكورة من مسائلهم ويكون ذلك مناقضا لظواهر النصوص التي تقدمت بخصوص تلك المسائل فعليه أن يرجع حينئذ الى القاعدة الكلية التي تقدم لنا تقريرها وهي تأويل تلك النصوص وصرفها عن ظواهرها الى احتمال معان تناسب ما قامت عليه أدلة أولئك القوم العقلية القطعية اليقينية ولا ضرر عليه في ذلك بعد ان يتحقق صحة أدلتهم وافادتها اليقين الذي لا شبهة فيه واذا تقرر هذا فنقول في ردشبه هذا المقام والتوفيق بين نصوصه وبين ما يفرض تحققه من الادلة اليقينية المناقضة لتلك النصوص

اما قول أولئك الفلكيين ان الكواكب قائمة في الفضاء بناموس الجاذبية واست مركوزة بها فهو امر جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى ويكون ذلك الناموس من جملة الاسباب العادية التي وضعها الله تعالى في الاكوان فاذا قام لنا الدليل العقلي القاطع على قيام تلك الكواكب في الفضاء كما يقولون تأول النص الذي ظاهره ان الكواكب مركوزة في السماء وهو قوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح بانه من المحتمل أن يكون مراده تعالى بكونها زينة انها زينتها بحسب مرأى الرائين وان

كانت تحتها كما قال بذلك جملة من علماء الاسلام وتقدم نقله عن مكى و وهب وكثير من المفسرين وكعب ونأخذ بقول من قال من علمائنا ان المراد بأفلاك الكواكب هو مدراتها من الفضاء التى تدور فيها لا انها اجسام تحتها ولنكون قد جرينا على قاعدة التأويل عند قيام الدليل القطعى المعارض مع الموافقة لجملة من العلماء على أسهل وجه

واما قول أولئك الفلكيين ان المرئى لنا من الزرقة هو لون الجو فغاية ما عندهم من الدليل ان نظاراتهم المجسمة لم تكشف لهم جسما غير الكواكب قائمة فى الفضاء ولذلك انكروا وجود السماء ونقول ما المانع ان السماء لشدة بعدها عن الارض بمسافات شاسعة ما عادت النظارات صالحة لان تحقق جسميتها لهم و يمكن ان يكون لونها هو الذى يخفى حقيقة جسميتها وهذا هو الذى اوهمهم عدم وجود جسم فى الفضاء غير الكواكب على ان بعض علماء الاسلام وهو القاضى ابو بكر بن العربى قد قال بان السماء غير مرئية وتاول النص الذى ظاهره انها ترى كما تقدم ولا يلزم من عدم رؤيتها عدم وجودها كما هو القاعدة المسلمة من انه لا يلزم عن عدم الوجدان عدم الوجود والله تعالى اعلم

واما قول هؤلاء الفلكيين ان الارض كرة فبعد اقامتهم لنا الدليل العقلى القاطع الدال على كرويتها لا مانع لنا من القول به و يمكن تاويل النص الذى ظاهره انها مبسوطه كقوله تعالى (والارض بعد ذلك دحا) بان جعل

سطحها صالحا للسكنى بعد ان لم يكن كذلك مع انها فى نفسها كرة كما قال به الرازى وغيره ولا بد انه قام الدليل القاطع لدى من قال من علماء الاسلام بكرويتها والله تعالى اعلم

واما قولهم ان الشمس لا تسير حول الارض وانما لها دورة بطيئة على محورها والارض هى التى تدور دورتين احداهما سنوية حول الشمس تتولد منها الفصول الاربعة والاخرى يومية على محورها تتوالد منها اوقات الليل والنهار فنقول

هذا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فاذا اقاموا لنا الدليل العقلى القاطع على ذلك فلا مانع من القول به وتاول ماظاهره من النصوص الشرعية أن الشمس تسير وهو قوله تعالى والشمس تجرى لمستقر لها بان المراد من جريها هو دورانها على محورها وانها تجرى الى استقرار يكون لها بعد ذلك عند ما يخرب عالم السموات والارض بمجىء يوم القيامة فانها حينئذ تقف عن تلك الدورة وأن سبحها فى فلكها عبارة عن دورتها على محورها فى الحيز الذى هو فلكها كما تقدم ان الفلك هو الحيز فى تفسير بعض علمائنا واما الارض فانه وان لم يرد تصريح فى النصوص الشرعية بحركتها او بسكونها ولكن نسبة الجرى والسبح فى الفلك الى الشمس وظواهر استعمالات الشرع واهل العصور الاسلامية تدل بالظواهر على انها ساكنة والحركة اليومية التى نراها انما

هى للشمس والكواكب لا للارض فاذا اقام لنا هؤلاء الملكيون الدليل العقلى القاطع على ان تلك الحركة اليوميـة للارض تدور على محورها يمكننا ان نصرف النص الذى ظاهره سير الشمس على ظاهره كما تقدم كما يمكننا ان نقول ان استعمالات الشرع فيما يدل ظاهره على ان الدورة اليوميـة للشمس لا للارض وجـرى على ذلك استعمالات العصور الاسلامية انما كان ذلك جريا على الظاهر المشاهد للعامـة ومجاراة لاستعمال الامم وما الفوه فى نظرهم وتكون هذه المسئلة من جملة المسائل التى لم يؤذن للرسل شرحها للعموم لان كشف حقيقتها ليس من مقاصد الشرائع لما تقدم ان مقاصد الشرائع انما هو بيان التوحيـد والعبادات ونظام المعاش وايضا بيـان تلك المسئلة ربمـا قد يعجز عن فهمه كثير من العامـة بل ربما يكون فيه للعامة اضطراب واختـلال لاسيما الضعفاء منهم الذين يجـدون ذلك مخالفا لمشاهدتهم ولسنا نقول ان فهم هذه المسأله يصعب على اجلاء الصحابة رضى الله عنهم الذين حازوا من المعارف النبوية ما يؤهلهم لفهم اعظم المسائل وادقها بل نقول ان فهمهما يصعب على العامة لاسيما أهل البوادى ولينظر لو قيل للعرب الجاهلية ان الارض هى التى تدور والعالم على ظهرها لا يسقطون عنها ولا ينفصل عنها ماء البحر وذلك وهم يشاهدون بابصارهم ان الدائر حول الارض انمـا هى الشمس والكواكب ماذا يكون حالهم حينئذ وما كان يظهر

فيهم من المخالفة والامتناع عن التصديق لهذا القول وانظر الى ما استبعدوه وأنكروه من أمر البعث وأمثال ذلك ولكن الشرائع فى غنية عن بيان مثل مسالة الارض اذ ليست من مقاصدها وأما بيان البعث فهو من مقاصدها لما فيه من الترهيب والترغيب المصلحين للامم فلذلك لم تترك بيانه وان صعب فهمه على كثير بل ذكرته واقامت الدلائل عليه والملخص أن الشرع جرى فى استعماله على ظاهر الحال ويسمى ذلك فى اصطلاح اللغة تجوزاً ولم يظهر الحقيقة للشعب لما قدمنا وهكذا نرى الآن من يعتقدون دورة الارض يجرون فى استعمالاتهم على ما هو ظاهر الحال ويقولون طلعت الشمس وغربت ولم نسمع أحداً منهم يقول قابلنا الشمس أو استترنا عنها وكل هذا جائز فى الاستعمالات اللغوية لقيام الصورة الظاهرية بالمشاهدة وليعلم أن جميع ما قررناه هنا وان كان شائعاً لنا ولا ضير فيه الا أنا لا نقول به الا بعد قيام الدليل العقلى القاطع على صحة قول هؤلاء الفلكيين والا فنحن متمسكون بالظواهر لا نفارقها ولا نلتفت الى اقوالهم واجماعهم اذ ليسوا معصومين من الغلط كما لم يعصم اسلافهم والله تعالى اعلم

واما انكار هؤلاء الفلكيين لوجود السموات السبع والعرش والكرسى والقلم واللوح والجنة والنار فهذا ليس لديهم دليل عليه الا انهم ما وجدوا هذه الاشياء ولا راوها بنظاراتهم المجسمة ونقول ان عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود فى نفس الامر وهذا مسلم عند جميع العقلاء فانكارهم لا يعبأ

به ثم اننا نحن واياهم متفقون على وجود الفضاء الذى لا يتناهى فى المانع من ان الله تعالى خلق تلك الاجسام وراء عالم الكواكب بعد تسليم ان الكواكب قائمة فى الفضاء وتلك الاجسام تكون بعيدة عنا بمسافات شاسعة لا تدركها نظاراتهم او انها وان ادركت بها السماء الدنيا التى هى اول تلك الاجسام فربما تكون تلك السماء ملونة بلون يوجب عدم تحقق جسميتها بالنظارات فهم لم يروا بنظاراتهم ولم يتحققوا الا جسمية الكواكب فانكروا تلك الاجسام وهى موجودة فى الفضاء الواسع الشاسع وحيث ان ذلك جائز تحتمل دخوله تحت تصرف قدرة الله تعالى بان يخلق سبحانه تلك الاجسام ويقيمها فى ذلك الفضاء كما اقام الكواكب وقد اخبر بوجودها الصادق عليه السلام فنحن نؤمن بوجودها وليس لنا تأويل نصوصها الواردة فيها . لادعى لذلك لعدم قيام دليل قاطع يناقض وجودها ومجرد انكار أولئك القوم ليس دليلا ظنيا فضلا عن ان يكون دليلا يقينيا والله تعالى اعلم

واما انكارهم كون الارضين سبعا فهذا ايضا لا دليل لهم عليه فغاية ما عندهم ان يقولوا انا لم ننظر غير الكواكب وهذه الارض ونحن نقول اولا انه لم يتفق جميع علماء الاسلام الذين اعتمد على فهمهم للنصوص الشرعية على حمل النص الذى يدل على وجود سبع ارضين على ظاهره من وجود سبع ارضين منفصلة مستقلة كل واحدة منها بل بعضهم قال انه

المراد بها اقاليم ارضنا السبعة وبعضهم قال ان المراد طبقات ارضنا وثانيا اذا جرينا على ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه من ان كل واحدة منها منفصلة مستقلة مثل ارضنا وان في كل منها عالما كعالمنا فهذا شيء من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى الذي اوجد هذه الكواكب العظيمة التي يوجد بينها ما يزيد في العظم عن ارضنا بمئات الالوف فما المانع ان يكون الله تعالى قد خلق ست ارضين غير ارضنا وتكون تلك الارضون قائمة في الفضاء كما يقول اولئك الفلكيون في ارضنا وعدم رؤيتهم لها بنظاراتهم يمكن ان يكون بسبب انها مظلمة السطح الا ترى كان القمر لا يرى عند المحاق ويمكن انهم يرونها بين الكواكب ويحسبونها من جملتها ولا غرابة في ذلك على اصولهم فكثير منهم من يزعم ان في الكواكب سكانا ويستدلون على ذلك بادلة ظنية تعلم من الاطلاع على كتبهم فحيث قد تبين ان وجود سبع ارضين لا مانع منه وقد اخبر به الصادق فنؤمن بوجودها ولا نلتفت الى كلام هؤلاء الفلكيين الذين لا سند لهم في انكارها ولا يسوغ لنا تفسيرها بكل من التفاسير المتقدمة حتى على قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه مع توجيهه بما قدمناه والله تعالى اعلم

وقد بقي ص في القرآن الشريف يرد على ظاهره الشبهة على رأي الفلكيين

المتقدمين والمتأخرين وهو قوله تعالى في قصة ذى القرنين (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) فان ظاهره أن الشمس تغرب في عين من عيون الارض وكان يجب علينا الايمان بمعناه الظاهر لكن قد قام الدليل العقلي القاطع من لدن المتقدمين على أن الشمس أكبر من الارض بكثير ودخول الجسم الكبير في الصغير مع البقاء على مقدارهما من المحال وقام الدليل القاطع أيضا على أن الشمس لا تغرب في نفس الارض وعلى هذا فقد صرف علماء الاسلام هذا النص عن ظاهره الى غير ما يتبادر منه فقالوا يحتمل والله اعلم بمراده أنه تعالى اراد أن ذا القرنين لما بلغ ذلك المكان من بلاد المغرب وجد الشمس بحسب رؤية الرائي تغرب في عين حمئة لان الناظر الى الشمس في سواحل البلاد الغربية يتخيل ان الشمس تغرب في بحرها الغربي المحيط بها وذلك البحر كثير الحمأة السوداء والظلمة وذو سخونة وليس مراده انها تغرب في عين بالفعل ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل فاذا هي تغرب مثلا من العبارات التي تفيد حكاية واقع لامر نصا وهكذا يقول الرجل منا أتى من المكان الفلاني وجدت الشمس تغرب من البحر أو خلف الجبل أو في الوادي والحال ان اعتقاده أنها لم تغرب في واحد منها وانما حكى صورة رؤيته يؤخذ هذا التأويل من الرازي والجلالين والكواشي كما نقله في عجائب المخلوقات قال الرازي وما قاله أهل الاخبار من ان الشمس حقيقة تغرب في العين كلام على خلاف اليقين وكلام الله تعالى مبرأ عن هذه التهمة فلم يبق الا ان يصار

الى التاويل والله تعالى اعلم .

(الفصل الثانى)

« فى رد الشبه عن النصوص الواردة »

« فى شؤن الملائكة والجن »

قد تقدم لنا فى الباب الثانى وجوب الايمان بالملائكة والآن نقول انه قد وردت نصوص الشريعة متواترة أو مشهورة واحاديث احادية لكن لكثرتها وتعدد طرقها بلغ ما يستفاد منها درجة التواتر يدل جميع ذلك على ان الله تعالى خلق اجساما لطيفة نورانية تسمى ملائكة قادرة على التشكل باى شكل ارادت وانها تقطع المسافات التى بين السموات والارض فى مدة قصيرة جدا وانها تمر امامنا ولا نراها وانها تعمل افعالا عظيمة تعجز عنها قوى البشر وانها موكلة بحوادث هذا الكون كنزول الامطار وتدبير عالم الحيوان والنبات وغير ذلك وانه تعالى خلق اجساما اخرى تسمى جنا تشابه الملائكة المذكورين فى بعض خواصها من نحو الاقتدار على التشكل والاحتجاب عن الابصار والاقتدار على اعمال عظيمة ولكنها تخالفهم بانها ليست نورانية مثلهم وانها مكلفة كالبشر فمنهم المؤمن الطائع والعاصى والكافر وقد وردت شبه على وجود الملائكة والجن وشؤونهم من نحو الاقتدار على التشكل والاعمال الشاقة مع انهم

اجسام لطيفة وغير ذلك من بعض الفلاسفة المتقدمين وتبعهم المتاخرون

وتقول في بيان رد تلك الشبهة واظهار انها أوهام لا تقوم لدى الايمان بعظمة قدرة الله تعالى على ايجاد الملائكة والجن في تلك الشؤون والاحوال

اعلم انه من الممكن الجائز عقلا ان الله تعالى عظيم القدرة واسع العلم قد خلق الملائكة من مادة لطيفة كمادة الهواء او الاثير الذي يقول به المتاخرون من انه مادة لطيفة جدا مالئة الكون لا نرى وقد كونهم سبحانه من تلك المادة وجمع اجزاءهم بكيفية صالحة لتلك الخواص والشؤون التي ذكرناها لهم كما كون سبحانه الحيوان من العناصر الجمادية بكيفية اكسبته قبول الحياة وجميع قواها من الادراك والحركة وغير ذلك بعد ان لم يكن للعناصر شيء من ذلك ويحتمل حينئذ ان عدم رؤيتنا اياهم لشفافتهم ولطافتهم كالهواء والاثير على ان الامر ظاهر جدا على ما ثبت لدينا معشر المسلمين من ان الرؤية بمحض خلق الله تعالى فمن الممكن ان الله تعالى لا يخلق رؤيتنا لهم عند مرورهم امامنا ثم ان اقتدارهم على التشكل مع انه جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى يمكن توجيهه وبيان كيفيته تقريبا بامكان المعقول ان الله تعالى كون تلك الاجسام على كيفية يقتدرون بها على تناول كمية من الهواء او الاثير أو نظير ذلك وتكثيفها وتكوينها على الصورة التي يريدونها ثم يلبسونها كما يلبس الثوب فيظهرون للابصار بتلك الصور وفي الاعمال الكيماوية التي أقدر الله تعالى البشر عليها من تحويلات

الاجسام الى بعضها كتحو بل الكثيف لطيفا واللطيف كثيفا مايقرب
فهمه قررناه الى العقول وحيث أن تشكل تلك الاجسام كيفما كان هو
مستند الى عظمة قدرة الله تعالى الذى تدهش أعماله الافكار فيما أعطاه
للحيوان والنبات من الخواص فلا غرابة فى ذلك وكل مؤمن بذلك الاله
و بعظيم قدرته وواسع علمه لا يستبعد حصول ماذكر للملائكة
واما انهم يعملون أعمالا عظيمة تعجز عنها قوى البشر مع انهم اجسام
لطيفة فبعد النظر الى اعمال الرياح التى تقطع الاشجار العظيمة وتهدم
الابنية الجسيمة واعمال القوة الكهربائية التى تجر الاثقال التى
يعجز عنها ألوف الرجال لا تجد فى نسبة تلك الاعمال للملائكة مع انهم
أجسام لطيفة شيئا من الغرابة لا سيما وان الذي يقدرهم على تلك الاعمال هو
الله تعالى الذى لا يعد ذلك بالنسبة الى عظيم قدرته شيئا صعبا واذا نظرنا الى
ان بعض الناس يكسر بقوة ذراعه الحديد وما هى قوة ذراعه الا عمل
أعصابه مع عضلاته التى تنتهى أخيرا الى مخه اللطيف الخفيف الذى هو
مبدأ حركة الاعضاء على ما يقوله اولئك الفلاسفة والمخ للطافته لا يحتمل
اذى مصادمة من جسم غريب بل صعود نقطة دم زائدة على القدر اللازم
له قد تفسده وتعدم صاحبه الحياة ظهر لنا ان الله تعالى قادر على اعطاء
اللطيف قوة لا توجد فى الصلب الكثيف سبحانه من قادر عظيم واما ان
الملائكة يطوون المسافات الشاسعة بين الاجسام السماوية وبينها وبين

الارض بمدة قصيرة جدا فنقول لا مانع منه عقلا لان سرعة الحركة ليست محصورة بحد يسير فلينظر الى ما قاله اولئك الفلاسفة من ان الجسم الساقط الى الارض فى اول ثانية من سقوطه تكون سرعته ستة عشر قدما واذا كان سقوطه الى الشمس تكون سرعته فى تلك الثانية اربعمائة وخمسين قدما ثم ان الجسم يسقط فى اى عدد كان من الثوانى بعد الثانية الاولى ما يساوى مقدار ما يسقط فى الثانية الاولى مضروبا فى مربع ذلك العدد من الثوانى فبالتأمل فى هذا الناموس يعلم ما تبلغه سرعة حركة الاجسام من العظمة التى يحتار فيها الفكر وكذلك عندهم فى علم الهيئة ان نجم المشترى يجرى ثلاثين الف ميل فى الساعة اى اسرع من كلة مدفع ثمانين مرة فيجرى تسعة اميال كلما تنفس الانسان وسرعة اجزائه الاستوائية فى دورانه على محوره اربعمائة وسبعة وستون ميلا كل دقيقه ففى الساعة يقطع كل جزء من تلك الاجزاء سبعة وعشرين الفا وتسعمائه وعشرين مرة والمشترى اكبر من ارضنا بالف واربعمائة مرة على ما يقوله الفلكيون منهم فالذى جعل هذا الجسم الكثيف العظيم وكل جزء من اجزائه الاستوائية تقطع تلك المسافة الشاسعة فى تلك المده الجزئية لا يبعد على قدرته ان يجعل الملك يقطع تلك المسافات بين السموات والارض فى مدة قليلة جدا وان كانت هذه المسافات اكثر بكثير من المسافات التى يقطعها المشترى واجزاؤه لكن النظر الصحيح فى سير ذلك الكوكب

يقنع العقل بان قدرة الله الذى سيره ذلك السير صالحة لاعظم ما يكون من جنس هذا العمل لاسيما وناموس الاجسام الساقطة قد بين عظم سرعة حركة الاجسام وان قيل آن سير المشترى هو بواسطة الجاذبية على ما هو مفصل فى كتب اولئك القوم وكذلك سرعة الاجسام الساقطة قلنا وما هى تلك الجاذبية التى ينسبون اليها الاعاعظيمة فى الكائنات وهم يعجزون عن الافصاح عن حقيقتها وعما هو الموجب لقيامها فى الاجسام وغاية ما يكون منهم انهم يقولون بها لتعليل الحوادث التى حيرت عقولهم من نحو النظام الشمسى اى دوران الكواكب حول الشمس وغيره وبعد تسليم ثبوتها نقول من الذى اوجدها وجعلها خاصة الاجسام او انشأ عنها تلك الحوادث العظيمة فى الكائنات اغير الاله الذى ابدع الخلق من العدم ووضعه على اتم نظام واسمى حكم فاذا كان ذلك الاله قادرا على ايجاد مثل هذه الجاذبية واحداث حركات الاجسام السريعة عنها فلا يعجز ان يجعل الملك يقطع تلك المسافات فى مدة وجيزة اما بخاصة وضعها فيه واما بغير خاصة فالكل جائز عقلا وقدرته صالحة لكلا الامرين وليعلم ان جميع ما قررناه فى حق الملائكة يقال مثله فى شان الجن من القدرة على التشكل والاعمال العظيمة وقطعهم المسافات الطويلة فى برهة قليلة وعدم رؤيتنا لهم والاستدلال واحد لا يخفى على الفطن الذكى والله تعالى اعلم

يقولون ومن هذا المقام تبين لك اندفاع الشبهة التى ترد على الاسراء

والمعراج اللذين حصلا لسيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم والشبهة التي ترد على انتقال عرش بلقيس من بلاد اليمن الى مجلس سليمان عليه السلام في لمحة طرف اما الاسراء والمعراج فقد ورد في القرآن الشريف ان الله تعالى اسرى بسيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة واحدة من المسجد الحرام في مكة الى المسجد الاقصى في القدس وورد في الاحاديث الصحيحة التي بلغت بكثرتها درجة القطع بثبوتها ان الله تعالى اصعده في تلك الليلة الى السموات العلى ثم اعاده الى مكة في نفس تلك الليلة قبل ان يطلع الفجر فيجب علينا الايمان بذلك حتى ان كثيرا من العلماء يذكرون الاسراء والمعراج في جملة العقائد التي يجب الايمان بها وانما اخرنا ذكرهما الى هذا البيان دفع الشبهة عنهما في مناسبة هذا المقام فنقول حيث قد ظهر هنا ان سرعة الحركة للاجسام مهما بلغت القدر العظيم فهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فما المانع ان الله تعالى ينقل ذات سيدنا (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة واحدة من حرم مكة الى حرم القدس ثم الى السموات العلى ثم يعيده في تلك الليلة الى مكة فمن يؤمن بوجود الله تعالى ويتبصر في اعماله في هذه الاكوان ويعتقد ان سيدنا (محمدا) رسوله وقد اخبرنا بانه قد حصل له ذلك الانتقال السريع في تلك المسافات وهو صادق معصوم عن الكذب لا يتوقف بتصديق قصة الاسراء والمعراج ويؤمن ذلك من دون تردد ولا

يجده الا من الامور الجائزة الداخلة تحت تصرف قدرة ذلك الاله العظيم وأما من لم يكن مؤمنا بوجود الاله سبحانه وعظم قدرته ولم يعتقد برسالة رسوله فهذا الصواب فى حقه أولا ان يرشد الى الايمان بالله تعالى ورسوله بواضح البرهان و بعد ذلك يسهل عليه تصديق نصوص الاحاديث. والقرآن والله الموفق

وأما قصة مجىء عرش بلقيس من بلاد اليمن الى محل سليمان فى لمحة طرف فقد وردت هذه القصة فى القرآن الكريم وأنها جرت على يد من عنده علم من الكتاب فبعض المفسرين قال انه آصف بن برخيا وزير سيدنا سليمان عليه السلام فيكون مجىء ذلك العرش كرامة أظهرها الله تعالى على يده لانه من أولياء الله تعالى و بعضهم قال انه نفس سليمان عليه السلام فيكون ذلك معجزة أظهرها الله تعالى على يديه اذ هى أمر خارق للعادة ومن تأمل فى هذا المقام وظهر لديه أن سرعة حركة الاجسام مهما بلغت فهى من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فلا يصعب عليه الايمان بهذه القصة والله على كل شىء قدير

﴿ الفصل الثالث ﴾

(فى رد الشبه عن بعض النصوص الشرعية)

(الواردة فى الامور الجوية كالمطر ونحوه)

اعلم ان الآيات الواردة فى القرآن الشريف فى شأن المطر هى على قسمين

منها ما ظاهره أن المطر ينزل من السماء ومنها ما ظاهره أنه ينزل من السحاب ثم ان السماء تطلق فى اللغة العربية التى جاءت هذه الشريعة الاسلامية بها على عدة معان كما فى قواميس تلك اللغة منها السماء التى هى مسكن الملائكة ومنها سقف كل شىء وكل بيت ومنها كل ما علا الشىء فهو سماؤه ومنها السحاب ومنها المطر وبناء على ما تقدم من وجوب اعتمادنا على المعنى الظاهر المتبادر من النص ما لم يقم دليل قاطع على خلافه علينا أن نعتقد المعنى الظاهر المتبادر من لفظ السماء المذكور فى انزال المطر وهو مسكن الملائكة كما هو المراد فى كثير من الاستعمالات الشرعية ويوفق بين النصوص التى ظاهرها نزول المطر من السماء والتى ظاهرها نزوله من السحاب بان الله تعالى ينزله من السماء على البخارات المجتمعة فى الجو المسماة بالسحاب ثم ينزله منها الى الارض فتارة تذكر النصوص محل نزوله الاول وتارة تذكر محل نزوله الثانى والله اصدق القائلين وقد نقل عن قطب العارفين سيدنا السيد أحمد الرفاعى قدس سره العزيز فى بيان هذا التوفيق أن المطر قسمان مطر ينزل من السماء وهو الذى يكون بسببه خروج النبات ومطر يتكون من بخارات الارض وبحارها ويتصاعد الى الجو ثم ينحدر من السحاب وهذا لا يكون به الانبات وان كان له حكم ومنافع الله أعلم بها ثم اذا ثبت بالدليل العقلى القاطع ما يقوله الفلاسفة المتقدمون والمتأخرون من أن المطر ليس الامر بخارات الارض وبحارها يتصاعد الى الجو بسبب

الحرارة ثم ينعقد بسبب البرد سحابا ثم يتحلل مطرا وتحقق ذلك بدون ريب ساغ لنا حينئذ على موجب القاعدة المتقدمة ان نؤل النصوص التي يتبادر منها أن المطر ينزل من السماء التي هي مسكن الملائكة بأن المراد بالسماء في هذه النصوص هي ما علانا وصار سقفا لنا وهو السحاب كما هو أحد معانيها اللغوية وقد ذكر هذا التاويل الامام الرازى فى تفسير سورة البقرة وأشار اليه الشيخ الشرنبلالى فى شرح مراقى الفلاح أو أن يقال انه لما كان نزول المطر بأسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس المرسلة أشعتها اليها من جهة السماء فتثير وتصعد الاجزاء المائية من أعماق الارض ومن البحار والانهار الى جو الهواء فينعقد سحابا فيمطر كان الانزال من السحاب حقيقة ومن السماء مجازا باعتبار السببية والله مسبب الاسباب وقد ذكر هذا التأويل الشيخ اسماعيل حقى فى تفسير سورة انبأ وعلى كل فقد اندفعت الشبهة ووافقت النصوص الشرعية حكم العقل والله تعالى اعلم وإن قيل ما حقيقة الرعد والبرق والصاعقة فان الفلاسفة المتأخرين يقولون انها ناشئة عن عمل القوة الكهربائية المتكونة فى السحاب وأقاموا على ذلك فى كتبهم الدلائل من نوع قياس الغائب على الشاهد قلنا اختلف علماء الاسلام المتقدمون فى ذلك فقال بعضهم الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث شاء الله تعالى والصوت المسموع صوته ويسمى رعدا أيضا وبيده مخاريق من نار يسوق بها السحاب والبرق ما ينقدح من تلك

لمخاريق واذا اشتد غضبه طارت من فمه نار هي الصاعقة واستند أصحاب
هذا القول الى حديث أحادى روى فى ذلك وقال بعضهم ان الرعد خلق
من خلق الله تعالى ليس بملك وروى هذا عن الحسن أى البصري وقال
بعضهم ان الرعد والبرق والصاعقة تتولد من اضطراب أجرام السحاب
واصطكاكها فينشأ هذا الصوت المسمى رعدا وينقدح ذلك اللمع المسمى
برقا والصاعقة قصفة رعد هائلة معها نار لا تأتى على شىء الا اتت عليه
بالهلاك وعبر البيضاوى عن هذا القول بانه المشهور ولعله مراده المشهور بين
علماء المعقول اذا تقرر هذا فاعلم أن اختلاف العلماء فى هذه الاشياء دليل
على أن الحديث الذى استند اليه أصحاب القول الأول لم يصح عند الفريق
الثانى الذين خالفوهم والا لما قالوا بغير مضمونه فيكون اعتقاد مضمون
القول الاول ليس واجبا علينا كبقية العقائد الاسلامية اذ ليس النص
الذى استند اليه من النصوص الثابتة ووروده عن الرسول قطعيا كالمتواتر
والمشهور لكن الصواب عدم مخالفة الحديث وان كان احاديا واذا لم يقم
دليل قاطع على ثبوت خلافه فجميع ما ذكر فيه هو من الجائز العقلى
الداخل تحت تصرف قدرة الله تعالى وما المانع ان يكون الله تعالى عظيم
القدرة قد خلق ذلك الملك ووكله بتدبير امر السحاب والامطار وينشأ
عنه تلك الحوادث من الصوت العظيم والبرق والصاعقة واما اذا ثبت بالدليل
العقلى القاطع ان تلك الحوادث الثلاث انما هى من فعل الكهرباء فلنا

حينئذ تاويل نص ذلك الحديث الاحادي فنقول

لا مانع ان الله تعالى قد خلق ملكا وكله فى تدبير شؤون الامطار وتلك الحوادث الناشئة عن القوة الكهربائية التى لا يدفيها من حكم ظاهرة انما مبدؤها تدبير ذلك الملك وتصرفه فى السحاب فاراد الحديث افادة ان شؤون المطر وتلك الحوادث مرجعها ذاك الملك مع تمثيل وتصوير عظمته فعبر عن الرعد بصوته والبرق بلمعان مخراقه والصاعقة شرارة فمه والمراد من جميع ذلك التمثيل والتصوير ومثل الاسلوب مستعمل فى اللغة العربية يفهم اصحابها ما هو المقصود منه وورد نظيره فى استعمالات الشرع الشريف فمما ورد فى كلام اهل اللغة العربية منه قول بعضهم يمدح رجلا

ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرجى

فانه من المعلوم أن السماحة والمروءة والندي هى معان لا يمكن ان توضع فى قبة مع الممدوح وانما المراد تمثيل وتصوير ملازمة ذلك الممدوح لتلك الصفات الكريمة حتى كانما ضربت عليها وعليه قبة وما ورد منه فى استعمال الشرع الشريف قوله تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فانه قد يؤول بان المراد منه تمثيل وتصوير عظمة الله تعالى وقدرته وعظمة سلطانه والا فهو سبحانه ليس مشابها للحوادث ويستحيل ملاصقته لها بان يقبض على الارض وياخذ السموات بيمينه سبحانه وبهذا يتضح التوفيق بين ذلك الحديث الاحادي وبين

مافرض ثبوته بالدليل القاطع من كلام الفلاسفة المتاخرين والله تعالى اعلم

فان قيل قد ورد في القرآن الشريف ما يفيد ان الله تعالى جعل الكواكب زينة السماء الدنيا وجعلها حفظا من الشياطين ورجوما لهم لانهم يصعدون الى قرب السماء لاستراق السمع من الملائكة ومن العلوم ان الفلكيين يقولون بكبر كثير من الكواكب حتى أن منها ما هو أكبر من الارض بمرات وورد أيضا في بعض الآثار ما يدل على كبر البعض منها ولو رجمت الشياطين بهذه الكواكب الكبيرة لسقطت على الارض واضرتها ولكان يظهر النقص في الكواكب المرئية لنا على طول الزمان قلنا ليس المراد من النص القرآني ان نفس الكواكب الكبيرة تكون رجوما حتى يلزم ذلك بل المراد كما قال الامام الرازي في تفسير سورة الصافات وتفسير سورة الملك ان تنفصل شعل من الكواكب يرجم بها الشياطين وهي الشهب التي نراها منقضة من جهة السماء أو أن الكواكب قسمان قسم منها الكبير الثابت الذي لا يتغير ولا ينقص وقسم منها الصغير الذي ينقض ويكون رجما للشياطين وهي هذه الشهب التي نراها منقضة فان قيل ان الفلكيين المتاخرين يقولون ان الشهب أجسام صغيرة سابحة في الفضاء تنجذب احيانا الى الارض عند قربها منها وتنقض ملتهبة من سرعة الحركة قلنا لم يقل النص القرآني ان كل شهاب فهو رجم

للشياطين بل مفاده ان الكواكب رجوم الشياطين فى الجملة فما المانع
أن الله تعالى خلق تلك الاجسام وأقامها فى الفضاء وهي من جملة
الكواكب ولكنها صغيرة فتارة تنقض الى جهة الارض بسبب جذب
الارض لها عند قربها منها وتارة يرسلها الله شهبا على الشياطين المسترقين
للسمع فقد ظهر مصداق النص القرآنى إن الله تعالى جعل النجوم زينة
ورجوما فالزينة بكبارها والرجوم ببعض صغارها فالفلكيون ما علموا
غير ما دلتهم عليه أرصادهم ونحن قد علمنا أن من الكواكب ما يكون
رجوما للشياطين وهو بعض تلك الاجسام الصغيرة وثبت عندنا ذلك باخبار
القرآن الشريف الصادق ولا إشكال فى ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

فان قيل إذا ثبت ما يقوله الفلكيون من ان الارض كرة قائمة فى الفضاء
ليست مركوزة على شيء فما يقولون فى الاثر المروى عن بعض الصحابة
رضي الله تعالى عنهم انه سئل سيدنا عيسى عليه السلام عن الارض فقال
إنها على ثور والثور على صخرة والصخرة على ظهر الحوت والحوت
فى بحر والبحر على الريح وتحت الريح ظلمة قلنا هذا الاثر ولو فرض نقله
حديثا ليس آية قرآنية ولا حديثا متواترا ولا مشهورا حتى يجب علينا
الايمان به كبقية العقائد الاسلامية لعدم اليقين بثبوته وعلى فرض ثبوته
عن سيدنا عيسى عليه السلام فيمكن تأويله بكونه من ضرب الامثال
وكثيرا ما ترد الرموز وضرب الامثال فى كلام سيدنا عيسى عليه السلام

كما يعلم ذلك من تتبع المنقول عنه والله أعلم

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في رد شبه شتى عن نصوص شرعية)

إعلم أنه قد ورد في القرآن الشريف ما يفيد أن الله تعالى خلق آدم أبا البشر عليه السلام إبتداء من طين بدون أب ولا أم وورد انه سبحانه خلق زوجته حواء منه وقال بعض المفسرين ان المعنى انه خلقها من جنسه ونوعه كما قال تعالى (وخلق لكم من أنفسكم أزواجا) وقال أكثر المفسرين انه خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى واستندوا في ذلك الى حديث احادي ورد في ذلك وورد في قرآن أيضا أن الله تعالى خلق سيدنا عيسى عليه السلام من السيدة مريم رضي الله تعالى عنها من دون أب قال علماء الاسلام إن في خلق هؤلاء المذكورين بهذه الطرق مع خلق بقية البشر على الطريق المعتاد إشارة من الحق تعالى للعباد على تمام قدرته بخلق الانسان على أي كيفية أراد فخلق آدم بدون ذكر وانثى وخلق حواء من ذكر وخلق عيسى عليه السلام من أنثى وخلق بقية البشر ذكورا وإناثا من ذكر وأنثى ومن يؤمن بوجود الله تعالى وبكمال قدرته ويتصور ما ابدعه من الحيوانات والنباتات من التراب لا يصعب عليه الايمان بخلق آدم وحواء وعيسى بالكيفيات المذكورة اذ لا دليل على استحالة شيء من

ذلك وقد اخبر به الصادق وما يقوله بعض المتأخرين من الفلاسفة فى حق الانسان وبقية الحيوانات من انها تولدت من عناصر الارض ثم اشتق بعضها من بعض بتفاصيل مستطيلة ويسمون قولهم هذا مذهب النشو فهو قول مبنى على الظنون والاوهام لا مستند له فى باب اليقين كما اوضحت ذلك فى الرسالة الحميدية فى حقيقة الديانة الاسلامية فلينظر هنالك فلا داعى لنا الى تأويل النص الوارد فى خلق آدم من تراب كما علم من القاعدة التى تقدم تقريرها من أنه لا يسوغ لنا تأويل النص الشرعى الا اذا قام الدليل القاطع على ما يناقض المعنى المتبادر منه وعلى فرض قيام الدليل القاطع على ما يقوله هؤلاء الفلاسفة فيمكن تاويل هذا النص فى خلق آدم وحواء بتاويلات مناسبة كما بينته فى الرسالة الحميدية ايضا فارجع اليه وأما من لم يكن مؤمنا بالله تعالى وعظيم قدرته فهذا الصواب فى حقه كما تقدم مرارا اقامة الشواهد له حتى يصير مؤمنا بالله تعالى وبعد ذلك يتضح له صدق تلك النصوص والله اعلم

كذلك قد ورد فى القرآن الشريف فى قصة اهل الكهف ما يفيد انهم لبثوا فى كهفهم ثلاثمائة وتسع سنين وجاء شرح قصتهم فى الاحاديث الشريفة انهم اشخاص مؤمنون على دين سيدنا عيسى الصحيح خدوا من اجبار ملكهم لهم على الكفر وعبادة الاوثان فاختبؤا فى ذلك الكهف وارسل الله عليهم النوم وحفظ حياتهم تلك المدة ثم بعد يقظتهم عادوا فناموا وسد

عليهم القوم الذين اطلعوا عليهم باب الكهف فهذا الحال من الجائزات العقلية اذلا مانع من أن الله تعالى يحفظ حياة النائم سنين عديدة فان الغذاء ماهو الا سبب عادى فى حفظ الحياة والله تعالى قادر على حفظها بدون الغذاء وقد يوجد فى الحيوانات لاسيما من نوع الحيات ما ينام تحت التراب مدة الشتاء لا يأكل ولا يشرب ويحفظ الله تعالى عليه حياته تلك المدة وكذلك قال بعض الباحثين عن طبقات الارض ان بعض الحيوانات الصغيرة قد تجمد تحت التراب الوفا من السنين وهى محفوظة الحياة واستشهد على ذلك ببعض ما اكتشفوه ولا يلزم من وجود اهل الكهف الآن ان يطلع عليهم الباحثون عن الآثار القديمة فكم من البقاع لم يصلوا اليها ولم تطاها اقدامهم ولم يرد حديث صحيح بتعيين مكانهم والله تعالى اعلم

وكذلك قد ورد فى نصوص القرآن الشريف وفى احاديث كثيرة ما يدل على ان الرؤيا المنامية قد تدل على امور تحدث فى اليقظة اما صراحة واما بنوع إشارة تحتاج للتفسير قال العلماء ان الرؤيا المنامية هى تصورات فكرية تحدث فى ذهن النائم على أنواع منها ما سببه بخارات الطعام ومنها ما سببه تفكر الانسان فى أشياء حالة اليقظة فيراها او يرى ما يناسبها فى حالة النوم ومنها ما سببه من الشيطان لاجل غرور الناس او ادخال الحزن عليه او نحو ذلك من مقاصده الخبيثة ومنها ما يكون من جانب الله تعالى تبشيرا للعباد او تحذيرا او غير ذلك اما صراحة واما اشارة وهذا القسم بنوعيه هو

الذى ورد فى الشريعة أنه جزء من الوحى وكل هذه الاقسام جائزة لا تستلزم محالا عقليا وللقسم الاخير شواهد كثيرة تنقل فى التواريخ القديمة الى هذا الزمان وبطن انه قل أن يخلو شخص من حصول شىء له من ذلك فى مدة عمره ولكن يوجد فى فلاسفة هذا العصر من ينكر هذا النوع الأخر من الرؤيا وينكر دلالتها على شىء فى اليقظة بدون دليل منه على استحالته أو عدم وجوده واذا نقل اليه بعض الشواهد التى حدثت لبعض الناس من هذا النوع يؤول ذلك الشاهد بتأويلات واهية سخيفة فالذى نعتقد أن دلالة هذا النوع من الرؤيا على أمور تحدث فى اليقظة هو امر جائز عقلا وقد أخبرت بوقوعه نصوص الشريعة فنؤمن به ونصدق كذلك قد ورد فى بعض النصوص القرآنية والاحاديث النبوية ما يفيد أن للسحر حقيقة وآثارا فى الخارج قال العلماء ان من السحر ما يوجد له حقيقة وآثار فى الخارج مثل قلب بعض صور الحيوان الى صورة أخرى وقتل الحيوان والاضرار ببعض الاجساد وذلك ناشىء اما عن خاصية فى نفس الساحر خصه الله تعالى بها أو عن استعمال الساحر بعض الرقى والعزائم ولكن كل ما يحدث من آثار ذلك فى الخارج فهو بعض خلق الله تعالى وتلك الخاصية فى الساحر واستعماله بعض الرقى والعزائم ما هو الا من الاسباب العادية التى جرت عادة الله تعالى فى احداث مسبباتها عندها وليس الساحر خالقا لشىء من تلك الاثار ومن السحر ما لا أثر له فى الخارج حقيقة وانما يحدث عنه فى

نظر الرائى وفكره صور وهمية متخيلة يظن الرائى أن لها وجودا فى الخارج والحال ليس كذلك وتلك الصور الخيالية تحدث اما بواسطة أعمال كيماوية أو باستعمال النواميس الطبيعية كنواميس النور فيرى الانسان أثرا فى الخارج لا حقيقة له فيه واما بوسائط أخرى كسرعة العمل وغير ذلك قال أهل السنة والجماعة لامانع من أن الله تعالى يوجد فى بعض النفوس خاصة التأثير بالاجسام وقلب صورها واحداث الاضرار ونحو ذلك أو يحدث ذلك عند استعمال بعض الرقى والعزائم ولكن كل ذلك بخلق الله تعالى وجعله تلك الخاصة والرقى والعزائم اسبابا عادية تحدث عندها تلك الآثار كما لا مانع من خلق الله تعالى تلك الصور الخيالية المتوهمة التى لا حقيقة لها فى الخارج عند استعمال بعض النواميس التى تنشأ تلك الصور عنها وان قيل لو جوزنا وقوع السحر يلزم اشتباه الساحر بالرسول الذى يأتى بالمعجزة قلنا ان الرسول يدعى الرسالة من عند الله تعالى و صدقه الله تعالى باظهار المعجزة على يديه والساحر لا يدعى الرسالة وان اراد ادعاءها فمن حكمة الله تعالى أن لا يظهر الامر الخارق للعادة على يديه أو أنه ان ادعى الرسالة كان من حكمة الله تعالى ان يطلع بعض من يدعى بينهم على حقيقة أعماله السحرية فلا يلتبس عليهم الحال بالمعجزة كما قال الرازى فى حكمة تعليم الملكين الناس السحر وقد نقلناه فيما تقدم فهذا يكون الفارق بين المعجزة والسحر فان قيل انا نقلنا فيما تقدم أن من [illegible] انكروا وجود السحر من النوع الاول وهو

أن يكون على يد الساحر ظهور بعض الحقائق من قلب الصور والاضرار بالغير بواسطة خاصية بنفسه أو استعمال بعض الرقى والعزائم واحتجوا على ذلك بأنه لا يظهر في العقل ارتباط بين تلك الوسائط وظهور تلك الحقائق في الخارج . بأن في جميع ما اكتشفناه من حقيقة حال السحرة في هذا الزمان أن جميع ما يظهر على أيديهم هي صور وخيالات لا حقيقة لها في الخارج وهي تحدث على أيديهم بواسطة استعمال بعض النواميس أو بواسطة خفة اليد وسرعة العمل وكثير من السحرة من أقر بان ما يظهره للعيان ما هو إلا صور خالية لا حقيقة لها قلنا إنا معشر أهل السنة نقول ان عدم ظهور ارتباط بين تلك الوسائط وهي خاصية النفس واستعمال الرقى والعزائم وبين ظهور تلك الحقائق في الخارج لا يلزم منه عدم وجوده في نفس الامر بما يكون ذلك الارتباط موجودا وهم لم يطلعوا عليه لاسيما وامر السحر شيء خفي ووجود السحرة قليل وفي ازمنة متباعدة وهذا المغناطيس لاشك انه يجذب الحديد ومع ذلك لم يطلع هؤلاء القوم على حقيقة السبب الذي به توجد هذه الخاصية ولم كان يجذب الحديد دون غيره غاية ما يقولونه ان تركيب اجزاء المغناطيس تقتضي ذلك وهذا ادعاء لسبب مجمل غير واضح ولا مقنع للعقل فيه على اننا نقول ان وجود تلك الحقائق على يد الساحر بمحض خلق الله تعالى وهذا الامام منه سواء كان هناك سبب موجب او لم يكن واما قولهم انا في جميع ما اكتشفناه من حقيقة حال السحرة في هذا

الزمان قد اتضح لدينا ان جميع ما يظهر على ايديهم منه هي صور وخيالات لا حقيقة لها في الخارج

فنقول اولا لا نسلم انهم اطلعوا على احوال كل ساحر في هذا الزمان وثانيا لا مانع ان يكون النوع الاول من السحر قد فقد من العالم كما فقدت عدة علوم وبقي النوع الثاني فقط الذي اطلعوا عليه ونحن لا نقول بوجود النوع الاول دائما حتى في هذا الزمان بل في نفس الامر هو عزيز الوجود ولا يوجد صاحبه الا في ازمنة متطاولة فالملخص اننا معشر اهل السنة نقول بوجود السحر لاسيما في الازمنة الغابرة كما جاءت بذلك النصوص وبأن اثره بمحض خلق الله تعالى وان لم نطلع على وجود شيء منه في هذا الزمان والله اعلم

كذلك قد ورد في بعض الاحاديث الاحادية ان لبعض الاعين تأثيرا في سقم بعض الاجسام واضرارها وحمل عليه بعض المفسرين تفسير بعض الآيات وقد انكر هذا بعض الفلاسفة المتأخرين والمتقدمين قالوا كيف يعقل ان العين تعمل من بعد وتؤثر في الاجسام بالاسقام والاضرار ونحن نقول

ان ذلك من الجائزات العقلية وحقيقة ذلك التأثير بخلق الله تعالى والعين سبب عادي واذا أريد بيان ذلك التأثير عقلا فنقول إن الناس مختلفون في خواصهم كما يكون الاختلاف بين اصناف الحيوانات فما المانع من ان

يكون فى الناس ذو طبيعة فى نفسه ذات سم وضرر فاذا نظر شيا بعينه وأعجبه وتوجه بنفسه اليه انفصل من عينه فى الهواء مادة سامة اذا وصلت الي المرئى ضرت به وأى مانع من انفصال مادة من العين عند الانفعالات النفسية كما تنفصل منها الدموع عند ذلك وقد قال بعض المتكلمين على خواص الحيوانات ان من الافاعى ما ينظر الى الانسان فيموت بنظره وما يصوت فيموت السامع بصوته اذا صح هذا فتلك الافعى لم يكن قتلها من بعد الا بواسطة سم ينفصل عنها و يصل الى الانسان ومن نظر الى المغناطيس وتاثيره بالحديد من بعد لا يستغرب تاثير العين فى الاجسام من بعد وهذا الذى ذكره من تاثير العين فى سقم الاجسام واضرارها هو الذى ثبت فى الاحاديث وأما ما ينقل من ان العين تهدم المبانى العظيمة وتشق الجبال الكبيرة وأمثال ذلك فهو شيء منقول فى القصص والاخبار الشائعة بين الناس واذا لم يصح فى نقول الشريعة الصحيحة فلا يعتمد عليه والملخص انا نقول بجواز تاثير العين فى الاجسام بالاسقام والاضرار ووجود ذلك بخلق الله تعالى لورود النص بذلك ولا مانع منه عقلا ولا يستلزم محالا والله تعالى أعلم

وكذلك قد ورد النص فى بعض الاحاديث الاحادية أن الطاعون من وخز الجن والذى يقوله الاطباء أن مرض الطاعون من فساد الدم الناشيء من فساد الهواء فنقول

اذا تحقق ما يقوله الاطباء يمكن أن يقال السبب الاصلي في الطاعون هو تسليط الله تعالى الجن على بني آدم بافساد هوائهم ودمهم فيتولد عن ذلك تلك الغدد الطاعونية فالنص الشرعي اخبر بالسبب الاصلي وكنى عنه بوخز الجن والاطباء اطلعوا على السبب الاخير فقالوا بما اطلعوا عليه ولا اشكال في ذلك والله اعلم

وان قيل قد جاء في حديث احادي انه عليه السلام قال لا يوردن ذو عاهة على مصح وقال فر من المجذوم فرارك من الاسد وجاء في حديث آخر انه عليه السلام قال لا عدوى فما التوفيق بينهما قلنا من المعلوم ان اعتقاد أهل الاسلام انه لا تأثير لشيء بطبعه بل كل أثر فهو بخلق الله تعالى وانما قد أوجد الله اسبابا عادية للآثار والله قادر على تخلف تلك الآثار عن اسبابها وان العمر محتوم لا يزيد ولا ينقص ولا يصيب الانسان الا ما قدر عليه فلا يجوز للانسان ان يعتقد ان المرض الفلاني يؤثر بطبعه ويعدي غير صاحبه وان الانسان قد يعدي بالمرض ويموت قبل اجله الذي قدره الله له اذا تقرر ذلك فنقول يمكن والله أعلم بمراد رسوله ان المراد من قوله عليه الصلاة والسلام لا عدوى انه لا يجوز اعتقاد العدوى بتأثير الامراض بطبعها واماتة الانسان قبل أجله ولكن قد توجد في بعض الامراض مثل الجذام والجدري والسل وامثال ذلك رائحة كريهة ومادة سامة تنفصل من صاحبها ربما تكون سببا عاديا لحدوث المرض في من يخالطه ويقاربه

فيمكن حينئذ والله اعلم ان يكون هذا هو المعنى الذى اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله فر من المجذوم فرارك من الاسد فكما ان شدة البرد وشدة الحرارة والتخمة وامثال ذلك تكون سببا للمرض كذلك تلك الرائحة الخبيثة والمادة السامة التى تنفصل من المريض قد تكون سببا عاديا لمرض الصحيح المخالط له فاذا تجنب المرء أصحاب تلك الامراض تحاشيا عن الاسباب العادية مع اعتقاده ان تلك الامراض ليست مؤثرة بطبعها وان تحاشيه لا يكون مانعا لقدر الله تعالى ولا مطيلا عمرا فلا مانع من ذلك لتحاشى مع مراعاة تلك الشروط لصحة الاعتقاد وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى الطاعون اذا كان فى البلد الذى انتم فيه لا تخرجوا منه وقال ايضا اذا كان فى بلد فلا تدخلوه قال بعض العلماء يريد بقوله لا تخرجوا منه اذا كان فيه كأنكم تظنون ان الفرار من قدر الله ينجيكم ويريد بقوله واذا كان فى بلد فلا تدخلوه ان مقامكم فى البلد الذى لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب لعيشكم ومع ذلك لا مانع للانسان ان يخالط اصحاب الامراض اتكالا على الله وثقة به تعالى لان حصول الضرر بمخالطتهم غير مقطوع به وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام اكل مع مجذوم فى اناء واحد وقال ثقة بالله فبالتأمل فى هذا المقام يظهر التوفيق بين الاحاديث الشريفة ويعلم اعتقاد المسلمين فى مسئلة العدوى والله تعالى اعلم

وان قيل قد ورد فى حديث آحادى ما معناه ان الله تعالى قد جعل ملكا موكلا بعروق الارض فاذا اراد الله زلزلة جهة من الارض امر ذلك الملك فحرك عرق تلك الجهة فتحدث فيها الزلازلة

الفلاسفة يقولون ان الزلزلة تحدث من احتباس ابخرة أو مياه فى جوف الارض فتنضغط بالحرارة وليس لها منفذ الى ظاهر الارض فيحدث عنها تلك الحركة العنيفة المسماة بالزلزلة قلنا الذى ورد فى الحديث لا مانع منه عقلا ولكن اذا ثبت بالدليل القاطع ما يقوله الفلاسفة يمكن تأويل ذلك الحديث بان الله تعالى جعل ذلك الملك موكلا بتدبير الابخرة والمياه التى فى جوف الارض وقد كنى فى الحديث عن ذلك بأنه موكل بعروق الارض فاذا اراد الله تعالى زلزلة جهة امر ذلك الملك فسلط الابخرة والمياه وضغطها بالحرارة فى جوف تلك الجهة فتحصل الزلزلة فعبر عن ذلك فى الحديث انه يحرك عرق تلك الجهة ولا مانع من الكناية لصعوبة الفهم على العامة ان الابخرة تحرك الارض العظيمة والله تعالى اعلم

ان قيل قد توجد آثار فى بعض الكتب فى كبر اجسام المتقدمين تحتوى على مبالغات يستبعدها العقل وهى وان لم تكن مستحيلة عقلا لكن قد اكتشف الباحثون عن الآثار الارضية على اجسام محنطة من تاريخ اربعة آلاف سنة فوجدوها مثل اجسام اهل هذا الزمان فما تقولون فى ذلك قلنا ان الذى ثبت فى هذا الباب ان الله تعالى ذكر من قبلنا فقال

(كانوا اشد منكم قوة) وقال عن طالوت (وزاده بسطة فى العلم والجسم)
وقال فى تقريع بعض المتقدمين (واذا بطشتم بطشتم جبارين) وكل ذلك
لا اشكال فيه ولا يعارضها اكتشاف ولا غيره واما ما شاع من قصة عوج بن
عنق والمبالغة فى كبر جسمه وكذلك ما ينقل ان آدم عليه السلام كان رأسه
يصل السحاب والسماء فحا كها فاعتراه الصلع من ذلك فقد قال الامام ابن قتيبة
فى شرح الاحاديث المتكافئة ان هذا شيء لم يأت به كتاب ولا ثقة وليس له
اسناد وقال الامام ابن فورك فى شرح الاحاديث المشابهة عن الروايات
فى طول آدم وقامته انها مما لا يوثق به اذ ليس فى ذلك خبر صحيح ولم يثبت
انه قد كانت خلقة آدم على خلاف هذه الخلقة عن الحد الزائد الذى يخرج عن
المعهود من متعارف خلق البشرية ولكن يعارض كلام ابن فورك ما جاء
فى حديث البخارى الصحيح من أن طول آدم كان ستين ذراعا وانه لم يزل
الخلق ينقص حتى الآن فالتحقيق انه على فرض ثبوت أحاديث فى كبر
أجسام المتقدمين فيمكن جعلها على انهم كانوا أكبر أجساما من اهل هذه
الازمنة بما هو خال عن المبالغة كالستين ذراعا فى خلق آدم وانه من المحتمل
ان الاجسام اخذت تصغر فى ازمنة متطاولة لاسباب عادية حتى بلغت مقدار
هذه الاجسام المعروفة الآن والذى اكتشفه الباحثون عن الآثار الارضية
انما هو اجسام وجدت بعد ان وصلت الاجسام فى الصغر الى هذا القدر
وما تعنيه الاحاديث التى فرض صحتها هو فى اجسام اهل ازمنة قديمة جدا

ومثل هذا قال في طول اعمار المتقدمين فانه قد ورد في القرآن ان نوحا لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وورد في الاحاديث ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وهذا امر ممكن عقلا لا استحالة فيه ومن الجائز ان اعمار البشر كانت تطول ثم اخذت تتناقص كما تناقصت اجسامهم حتى بلغت هذا الحد المعلوم والله تعالى اعلم

(الخاتمة)

(نسأل الله حسن الخاتمة)

إعلم انه يجب على المسلمين شرعا نصب امام يقوم باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش واخذ الصدقات وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وتزويج الصغار والصغائر الذين لا اولياء لهم وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول الشهادات القائمة على الحقوق واقامة الجمع والاعياد ولا يتم جميع ذلك بين المسلمين الا بامام يرجعون اليه في امورهم يدرأ المفاسد ويحفظ المصالح ويمنع مما تسارع الطباع وتتنازع عليه الاطماع يعول الناس عليه ويصدرون عن رأيه على مقتضى امره ونهيه وقد اجمعت الصحابة رضي الله تعالى عنهم على نصب الامام بعد وفاته عليه الصلاة والسلام وقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه لا بد لهذا الامر ممن يقوم به

فانظروا وهاتوا آراءكم فقالوا من كل جانب صدقت صدقت ولم
يقل أحد منهم لاحاجة بنا الى امام ويجب طاعة الامام على جميع
الرعايا ظاهرا وباطنا فيما لايخالف الشرع الشريف لقوله تعالى
(أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) وهم العلماء والأمراء
ولقوله عليه الصلاة والسلام من اطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى
أميرى فقد عصانى وفى صحيح البخارى عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم من أطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله
ومن يطع الامير فقد أطاعنى وانما الامام جنة يقاتل من ورائه
ويتقى به ومما ينبغى نصرة الامام على أعداء الدين والمفسدين ومحبته
ونصحه والدعاء له بالصلاح والتوفيق والرشاد والنصر والسداد فان
فى صلاحه صلاح الامة وقد قال بعض السلف ما معناه لو أعطيت
من الله دعوة صالحة لجعلتها فى الخليفة نسألك اللهم وسل البك
بعظمة ذاتك العلية وصفاتك السمية و بأسمائك السنية و بروحانية
سيدنا (محمد) خير البرية أن تحفظه

(تمت)

﴿ فهرس كتاب الحصون الحميديه ﴾

(لمحافظة العقائد الاسلامية)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

والعصى التي سحرتها السحرة وخيلتها للناس حيات و بيان جواز ذلك

٦٢ ومن معجزاته عليه السلام رفع الطور الذى هو الجبل فوق بنى اسرائيل حتى قبلوا الميثاق و بيان جواز ذلك

٦٣ ومن معجزاته عليه السلام ارسال الجراد والقمل والضفادع والدم على قوم فرعون وانزال المن والسلوى على بنى اسرائيل و بيان تطبيق ذلك

٦٤ ومن معجزات سيدنا صالح عليه السلام خروج ناقة من صخرة حين طلب ذلك منه قومه و بيان جواز ذلك

٦٥ ومن المعجزات عدم احتراق سيدنا ابراهيم عليه السلام بالنار العظيمة التى ألقاه فيها الملك الكافر و بيان جواز ذلك

٦٦ ومن المعجزات ماجرى على يد سيدنا عيسى عليه السلام من شفاء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى و بيان جواز ذلك

٦٦ ومن معجزاته تصويره من الطين كهيئة الطير ونفخه فيه فيصير طيرا باذن الله تعالى و بيان جواز ذلك

٧٠ ومن معجزاته نزول مائدة من السماء ليأكل منها أصحابه الحواريون رضوان الله عليهم و بيان جواز ذلك

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت الفهرس)